الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر

الموضوع:

الأسلوبية وعلاقتها بنظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

إعداد الطالب (ة): أحمد مكاوي

إشراف: د / محمد عباس

لجنة المناقشة		
أ.ت.ع	أحمد دكار	رئيسا
أ.م	وهيبة بن حدو	ممتحنا
أ.ت.ع	محمد عباس	مشرفا مقررا

العام الجامعي : 2017-2016/1439-1438

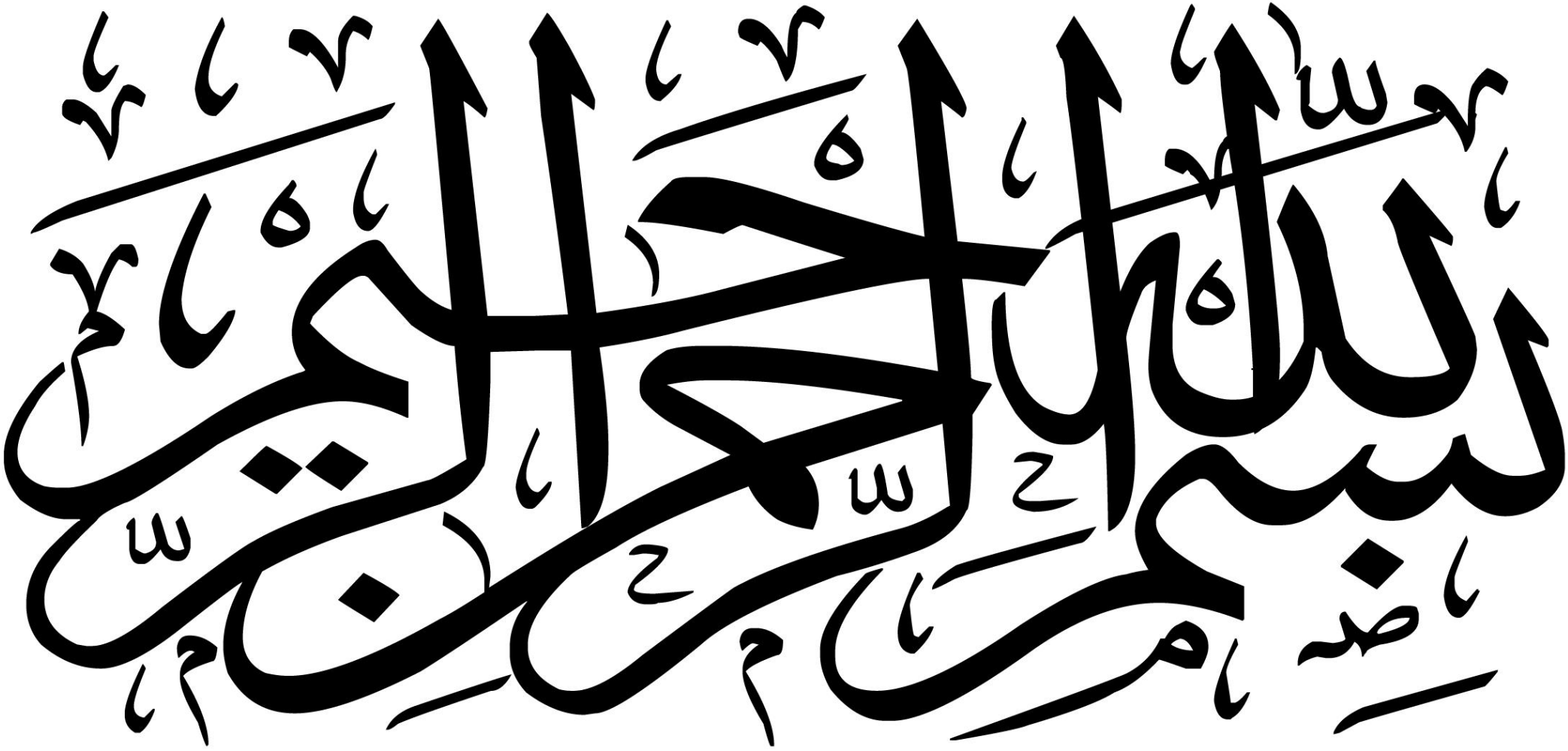
بسم الله الرحمن الرحيم

إهــداء

الحمـد لله الـذي أنار لنـا درب العلـم والمعرفـة وأعاننـا علـى أداء هـذا الواجـب ووفقنـا إلى انجـاز هذا العمل

نتوجـه بجزيـل الشـكر والامتنـان إلى كـل مـن سـاعدنا مـن قريـب أو مـن بعيـد علـى انجـاز هـذا العمل ، ونخص بالذكر الدكتور المشرف : محمد عباس

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

إلى مـــن لا يمكـــن للأرقـــام أن تحصـــي فضـــائلهما، إلى بسمة الحياة وسر الوجود إلى من كان دعائها سر نجاحي .....أمي الغاليـة

إلى من علمني العطاء بدون انتظار .. إلى من أحمل أسمه بكل افتخار ...والدي العزيـز

إلى إخوتي و أخواتي ، كل الأصدقاء و إلى كل الأهل و الأقارب

شكر و تقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل.

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور **محمد عباس** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.فجزاه الله خيرا في الدنيا والآخرة.

كما أتوجه بالشكر للأستاذ المناقش **أحمد دكّار** و الأستاذة وهيبة بن حدو اللذان تحملا عبئ قراءة هذا البحث و تصحيحه .

و لا أنسى أن أتوجه بفائق شكري واحترامي لجميع أساتذتي الكرام الذين رافقونا طوال مشوارنا الدراسي .إليهم مني فائق الاحترام و التقدير .

فهرس
الموضوعات

الفهـرس:

المقدمـة

الفصل الأول :النظم مصطلح و نظرية

النظم ما قبل عبد القاهر الجرجاني 01

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني 08

النظم في النقد و البلاغة 15

الفصل الثاني: الدراسة الأسلوبية في النقد الحديث

مفاهيم و أصول الأسلوبية.....22

اتجاهات الأسلوبية.....25

تداخل الأسلوبية مع العلوم الأخرى.....31

الفصل الثالث بين الأسلوبية و نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني

الأبعاد التداولية من خلال تنظير عبد القاهر الجرجاني 41

التركيب الأسلوبي للنظم 46

أثر النظم في الأسلوبية.....50

الخـاتمة 56

قائمة المصادر والمراجع 59

الفهرس و الموضوعات 65

المقدمة

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على رسول الله الأمين ، و على آله و صحبه أجمعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين –

وبعـد

– فقد شكل التراث العربي متنفسا للباحثين المعاصرين ، و ذلك من منطلق شغف التنقيب عن قراءة جديدة تتماشى مع الأطروحات الفكرية المعاصرة فتراهم حبا في ذلك يتسلحون بآليات جديدة من أجل الولوج إلى أسرار النص التراثي ضمن فعل قرائي أقرب ما يكون إلى مغامرة إستكشافية لتراث مشفر و ثري .

– استطاعت الأسلوبية أن تشق طريقها وسط المناهج النقدية المعاصرة و قدر لها أن تستقر كمنهج يهدي إلى دراسة الخطاب الأدبي دراسة تتصف بالموضوعية و العلمية و نظرا للعلاقة الوشيجة بين البحث البلاغي القديم و المفاهيم الأسلوبية المعاصرة و لا سيما الأطروحات البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني و وقع اختيارنا على موضوع " الأسلوبية و علاقتها بنظرية النظم عند الجرجاني " .

هادفين من خلاله إلى تجلي بعض النقاط التي تربط بين الأسلوبية و النظم لدى هذا الشيخ الجليل ، و محاولة استنباط تحليلات النماذج الخطابية المتقاربة مع الوجهة الأسلوبية في صياغة الكلام و التي

تدخل في صلب عملية التواصل و التخاطب .

إن الحديث عن هذا الموروث القديم (نظرية النظم) و علاقته بالأسلوبية سيقودنا إلى طرح عدة تساؤلات منها:

- هل لنظرية النظم علاقة فعلية بالدرس الأسلوبي ؟

- إذا كان الأمر كذلك فأين تكمن مواطن الالتقاء ؟

- و هل استعان النقاد الغربيون بالدرس البلاغي العربي القديم (نظرية النظم)؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة استعنت بالمنهج التحليلي الوصفي لأنه الأنسب في دراسة هذه القضية

و قد وقع اختياري على هذا الموضوع من بين موضوعات عديدة كانت قد وجهت لنا من طرف اللجنة العلمية لكلية الآداب و اللغات ، و لم يكن اختياري لهذا الموضوع من باب الصدفة ، وإنّما كان وليد اهتمام سابق بهذا المجال .

أمّا خطة البحث فجعلتها كما يأتي :

مقدمة وثلاثة فصول و خاتمة.

- أما الفصل الأول : فركزت فيه على ظروف نشأة النظرية و البذور الأولى لفكرة النظم عند النحاة و اللغويين قبل الجرجاني و الأسباب التي أدت إلى ظهور نظرية النظم لديه و حاولت من بعد

ذلك إبراز البعد المقصدي في أسلوب عبد القاهر الجرجاني مع ذكر أهمية النظم في النقد و البلاغة .

أما الفصل الثاني : فتطرقت فيه إلى التعريف بالأسلوبية لغة و اصطلاحا مع ذكر مناهجها وتطرقت أيضا فيه إلى الدراسات الأسلوبية في النقد الحديث من حيث علاقتها بالدراسات اللغوية و النقدية.

أما الفصل الثالث : فتناولت فيه علاقة الأسلوبية بالنظم و رصد أهم الميزات التي تربط فيما بينها مع ذكر حوارا فكريا بين عبد القاهر الجرجاني و ريفاتير .

- كما أفضى هذا البحث إلى مجموعة من النتائج جمعتها في الخاتمة.

و قد اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر كدلائل الإعجاز و أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني التي تبقى معينا لا ينضب للقراء والباحثين في مجال اللغة و الأدب إضافة إلى مراجع منها :

البلاغة و الأسلوبية لمحمد عبد المطلب و الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني للدكتور محمد عباس و الأسلوبية و نظرية النص لإبراهيم خليل .

- و لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر و العرفان و الامتنان إلى أستاذي الفاضل الدكتور محمد عباس الذي منحني من علمه الوفير و شرفني باحتضان هذا البحث ، وأسأل الله له التوفيق في الدارين .

و صلى الله و سلم و بارك على نبينا محمد صلى الله عليه و سلم

الفصل الأول

النظم مصطلح و نظرية

المبحث الأول : المبحث الأول : النظم ما قبل عبد القاهر الجرجاني

المبحث الثاني : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

المبحث الثالث:النظم في النقد و البلاغة

النظم ما قبل عبد القاهر الجرجاني :

اتفق العلماء و الباحثين حول كفاءة الجرجاني غير مسبوقة في تسخير القواعد لدعم نظرية النظم و ظهورها على الساحة اللغوية . لكن النظم عرف قبله بزمن طويل .

فقد وجد مفهوم النظم عند النحاة وذلك في حديثهم عن دراسة الكلام و تحليله و الوقوف عند الجملة و الأسلوب و ما يحدث فيه من تأخير أو حذف أو فضل أو وصل حاول بعض الدراسيين إرجاع الفكرة إلى أرسطو في " فن الشعر و الخطابة " بحيث جاء فيه حديثه عن الكلمة و الفروق بينهما " المقاطع و الحروف و الأصوات" و جاء أيضا ببعض المسائل التي رآها ضرورية في البلاغة .كما كتب عن مراعاة الروابط بين الجمل و الأسلوب المفضل و الأسلوب المقطع و حذف أصوات الوصل و التكرار.

و من الذين تطرقوا لهذا المفهوم من العرب كان (أبو عبيدة معمر بن المثنى) (210هـ) و ذلك عند مناقشة مجاز القرآن و لكن لم يحدد معالمه الدقيقة " فقد قام أبو عبيدة بترشيد الذوق البلاغي معتمدا على فه اللغة العربي ، و أساليبها واستعمالها ، و النفاد إلى خصائص التعبير فيها وكانت محاولته رائدة النظر في أحوال تراكيب العبارة و التصرفات البلاغية التي تحدث في النظم العربي "[1]

و لمح أيضا في قول العتابي (213 هـ) : " الألفاظ أجساد المعاني في أرواح و إنما نراها بعيون القلوب : فإذا منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة غير المعنى كما لو حول رأس موضوع رجل لتحولت الحلقة و تغيرت الحلية ".[2]

هذا القول هو تأكيد بأن الألفاظ و المعاني بمثابة الجسد و الروح إذا فيجب أن نضع كل كلمة في موضعها الخاص بها لأن أي تصرف في الموضع ينتبع فساد و خلل في النظم لهذا أعد العتابي على وضع اللفظة أو الكلمة في مكانها المناسب .

---

1 : د. عبد القادر حسين ،أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار النهضة مصر للطبع و النشر القاهرة / 1995،ص 375

2: أبو هلال العسكري ، الصناعتين : الكتابة و الشعر ، تحقيق محمد البحاوي ،دار الفكر العربي ط2 ،د.ت/ص :167 .

أما الجاحظ (255هـ) فهو أول لفظة النظم بصريح العبارة بحيث سمى أحد كتبه (نظم القرآن) الذي ألفه برغبة من قاضي القضاة أبي الوليد محمد بن أبي داود كما أشار إليها بقوله :" و لا يعرف في الاحتجاج لنظم القرآن و عجيب تأليفه و أنه حجّة لمحمد صلى الله عليه و سلم على نبوته ...."[3]

تعرض إلى مجاز القرآن و كيف منه بساطة التعبير و تيسيره ، إذ فرق بين القرآن و نظم سائر الكلام و دعى إلى دراسة الأدب و فنونه لكي يعرف الدراس الفرق بين النظمتين فقال : " فرق بين نظم القرآن و تأليفه يعرف فروق النظم و اختلاف البحث في الشعر و النثر إلاّ من عرف القصيدة من الرجز و المخمس من الأسجاع و المزدوج ومن المنشور ، الخطب من الرسائل و حتى يعرف العجز العارض الذي يجوز ارتفاعه من العجز الذي هو صفة الذات فإذا أعرف صنوف التأليف عرف مبانيه ...."[4]

و تحدث عن الكلمة و عدها إحدى مكونات النظم شرط أن تكون فصيحة " أن تكون مرئية من تنافر الحروف حتى تبد كأنها بأسرها حرف واحد "[05] و في رأيه أن أحسن الشعر ما كان "متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ واحد و سبك واحد فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان" [6].

- و في الكتاب البيان التبيين يحدثنا الجاحظ عن كيف " خالف القرآن يمنع الكلام الموزون و المنثور و هو المنثور غير المقفى على مخارج الأشعار و كيف صار نظمه من أعظم البرهان و تأليفه من أكبر الحجج "[7]

3: د.منير سلطان، إعجاز القرآن بين المعتزلة و الأشاعرة ، منشأة المعارف الإسكندرية "ط 3/ 1986، ص 47

4: عبد العزيز عبد المعطي ، قضية الإعجاز القرآني و أثرها في تدوين البلاغة العربية ، /1985 ص 34

5 :المرجع نفسه ص 177

6: المرجع نفسه ص 178

7: الجاحظ ، البيان و التبيين ، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان ،د،ط2 ، ج 1 ، ص 393

- أما المبرد (285هـ) كان يرى أن البلاغة في حسن النظم و ذلك بإحاطة القول المعنى و أيضا يجب اختيار الكلام و أجوده في حسن النظم حتى الكلمة مقارنة و أختها .[8]
- و لأبي هلال العسكري (39 هـ) في كتاب الساعتين كلام عن النظم عين فتح بابا عن حسن النظم و جودة الوصف حيث جاء فيه :" ... و حسن الوصف أن توضع الألفاظ في مواضعها و تمكن في أماكنها و لا يستعمل فيه التقديم و التأخير والحذف و الزيادة إلاّ حذفا يفد الكلام و لا يعصي المعنى و تضم كل لفظة منها إلى شكلها و نضاف الى لفقها و سوء الرصف تقديم ما ينبغي تأخيره منها و صرفها عن وجهها و تغيير صيغتها و مخالفة الاستعمال في نظمها " [09].

- أبدى رأيه أحمد سيد عمار صاحب نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم في هذا النص السابق أن هذا النص لا يعدو أن يكون المعنى اللغوي لكلمة " **النظم** " فقد جاء في اللسان أن " النظم : التأليف ، نظمه ، ينظمه ، فانتظم و تنظم و نظمت اللؤلؤ : أي جمعته في سلك ، و التنظيم مثله و قد نظمت الشعر و نظمته ، و كل شيء قرنته بآخر ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته " [10].

- و من خلال ما سبق تجد أن كثيرا من النحاة و البلاغيين و النقاد أشاروا إلى مفهوم النظم غير أنهم لم يعطوه هذا الاسم عدى الجاحظ الذي ذكره صراحة في كتابه (نظم القرآن) و نجد أيضا ممن تحدثوا عن النظم من خلال البحث في قضية الإعجاز و هم :

8: يراجع عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي ، ص 376

9: أبو هلال العسكري، الصناعتين ، الكتابة و الشعر ص 167

10: ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ط 6 سنة 1997 المجلد 12 ، المادة نظم ص 596

1) الرماني (386هـ):

يرى الرماني في رسالته (النكت في اعجاز القرآن الكريم) أن البلاغة ثلاثة طبقات منها ما هو في أعلى طبقة و منها ما هو في أدنى طبقة و منها ما هو في الوسائط بين أعلى و أدنى فما كان في الأعلى فهو معجز مثل القرآن الكريم و منها ما دون ذلك كبلغاء و فصحاء البشر . حيث جعل البلاغة على عشرة أقسام " الإيجاز ،التشبيه ، الاستعارة ، التلائم ، الفواصل ، و التجانس ، التصريف ، التضمين ، المبالغة و حسن البيان " [11]

وأفرد للبلاغة القول الفصيح معرفا لطبقاتها الثلاثة حيث كان أعلاها طبقة الإعجاز القرآني.

– و إذا نظرنا إلى فائدة الكلام في تلاؤمه عند الرماني و هو حسن الكلام في السمع وسهولته في اللفظ و تقبل المعنى في النفس .و من هنا لم يشغل نفسه بصلة النظم بعلم النحو و لكنه حدد كل ما يرتبط بالنظم و شرحه و أفاض فيه و كأنه كان يعني بالجانب النطقي أكثر من عنايته بالجانب النظري[12] فقط .

2) الخطابي : (388 هـ)

يعد كتاب (بيان الاعجاز القرآني) للخطابي من أهم الكتب حيث أنه يعبر عن وجهة نظره في مسألة النظم القرآني بمعنى التأليف و ما تخضع له الألفاظ و المعاني من تجانس لتمامه.

فقد ذهب الخطابي إلى أن الكلام لا يقوم إلاّ بعناصر ثلاث :لفظ حامل و معنى به قائم و رباط لهما ناظم .

—

11: يراجع،أحمد سيد محمد عمار ، نظرية الإعجاز القرآني و أثرها في النقد العربي القديم ص :132.

12 : يراجع نفس المرجع ص 75،76

ثم يقول :" وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ; حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشكلا من نظمه" [13].

– و يرى أيضا أن الإعجاز القرآني يكمن سره في اجتماع هذه الأمور الثلاثة إذ يقول :" و أعلم ان القرآن و انما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني "[14]

و ذكر أيضا أن في اللغة كلمات متقاربة في المعاني بحسب رأي أكثر الناس "كالعلم و المعرفة " ، " الشح ، البخل " " بلى و نعم " و " من و عن " .... و في حقيقة الأمر أن لكل كلمة أو لفظة معنى خاص بها و خصائص تميزها عن غيرها في بعض معانيها فلا بد من مراعاة هذه الفرق [15].

ثم ينتقل الخطابي إلى الحديث عن الأساس الثالث من نظريته و هو الذي يكشف لنا عن نظريته للنظم ، حيث أن النظم ليس أمر سهل بل يحتاج إلى وعي و ثقافة وحذق و تركيز يقول : وأما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر ؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني ، وبه يتصل أجزاء الكلام ، ويتسم بعضه ببعض ، فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[16]

– و يرى بعض الدراسيين و النقاد أن فهم الخطابي للنظم قريب من فهم عبد القاهر الجرجاني له

—

13: أحمد سيد محمد عمار ،نظرية للإعجاز القرآني ص 130

14: المرجع نفسه ص 131

15: يراجع المرجع نفسه ص 134،133

16: عبد العزيز عبد المعطي ، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة ص 320.

حيث أن النظم عند الخطابي هو : " صورة اللفظ المتفاعل مع المعنى للتعبير عن التجربة الفنية و ليس الألفاظ وحدها و لا للمعاني أهمية النظم و هو بذلك يحصد اللفظ بين أهمية التي ركز حولها لسابقون دراستهم "[17]

– و يرى البعض الآخر من الباحثين أن الفرق بين مفهوم النظم عند الرجلين شاسع فإذا كان الخطابي يرى بأن البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ موضعه الخاص به ، فالمتأمل في كلامه يدرك تمام الإدراك أن المراد منا هو إكمال النظر في الألفاظ المتشابهة و إدراك الفروق الدقيقة بينها في الاستعمال و اختيار المناسب و ليس هذا هو المقصود بالنظم عند الجرجاني إذ النظم عنده توفي معاني النحو فيما بين الكلام [18].

3 القاضي عبد الجبار (415هـ):

كان القاضي عبد الجبار أكثر العلماء وضوحا في تناوله للنظم قبل عبد القاهر الجرجاني في حين عقب على أستاذه ابن هاشم الجبائي (133هـ) في اعتباره الفصاحة في اللفظ فرأى أن يكتمل عمل استاذه حين أغفل تركيب الكلام الذي عليه عماد البلاغة فعقد فصلا : " وضح فيه الوجه الذي له يقع التفاضل في فصاحة الكلام الذي رفض فيه أن تكون الكلمة بانفرادها تظهر فيها

الفصاحة و كذلك المعان و رأى أن الفصاحة إنّما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة ، و لا بد من الضم من أن يكون لكل كلمة صفة و قد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم و قد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه و ق تكون بالموقع و ليست لهذه الأقسام الثلاثة رابع ."[19]

—

17: عمار أحمد سيدي محمد ، نظرية الإعجاز القرآني 136.

18:ينظر المرجع السابق ص 137.

19:عبد القادر حسين ،أثر النحاة في البحث البلاغي 177–178

و من هنا يقترب القاضي عبد الجبار من عبد القاهر في تفسيره للنظم فهو يرى بأن الفصاحة لا تكون في أفراد الكلمات بل بضم الكلمات إلى بعضها و مراعاة حركاتها في الاعراب و موقعها في التقديم و التأخير و هذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني .

و هنا يتضح أن مصطلح النظم اختلف من مجموعة إلى أخرى و أنه كان وليد قضية الإعجاز القرآني في خاصة بين المعتزلة و الأشاعرة و أنهما لم يختلفا في جميع الأمور بل كان الخلاف واضحا في نقطة الانطلاق إذ المعتزلة ينطلقون من الجانب المرئي أومن اللفظ إلى المعنى بينما الأشاعرة فانطلاقهم كان بين من الجانب غير المرئي أو المسموع أو غير الحسي إلى المرئي أي من المدلول إلى الدال من المعنى إلى اللفظ .[20]

20: سعيد حسين بحيري ،دراسة لغوية تطبيقيةفي العلاقة بين البنية و الدلالة ، مكتبة زهراء الشرق،مطبعة العمرانية،القاهرة،ص:223

نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني :

النظم إذا كان شائعا منذ القرن الثاني هجري ، و لكن ذلك لا ينفي الجهود التي بذلها الجرجاني في تحديد معالمه ووضع أسسه كما فعل بعض المعاصرين الذين ذهبوا إلى أن (عبد القاهر) لم يبتكر نظرية النظم بل أنه لم يهدف إلى مفهوم النظم شيئا جديدا.

– إذا كان القصد بأن (عبد القاهر الجرجاني) قد انتفع بجهود السابقين في نظريته أو أنهم أشعة أضاءت له الطريق فهذا الأمر لا يتطرق إليه الشك فما من نظرية تقوم على فراغ أو تخلق من العدم ، و الجرجاني نفسه يعترف بهذا الأمر صراحة . و لا يدّعي أنه أول من طرق مفهوم النظم يقول :" وقد علمت إطباق العلماء عن تعظيم شأن النظم و تفخيم قدره ، و التنويه بذكره إجماعهم أن الفضل من عدمه ، و لا قدر لكلام إذا هو لم يستقم له و لو بلغ في عرابة معناه ما بلغ ."[1]

و لكن الانتفاع بآراء السابقين لا يصح أن يكون موضع طعن لأصحاب النظريات المتجددة فيدعي البعض أن عبد القاهر قد تأثر بهم تأثّرا واضحا و انه لم يضف إلى ما جاء به السابقون شيئا " و إنما تحددت معاني النظم على يد عبد القاهر دون غيره لأن النظم قبل عبد القاهر لم يكن مقصودا من عمد أو مدروسا بطريقة مباشرة و إنما شيئ عفوي نابع من ملاحظات العلماء ، حين يأخذون بجمال الشعر و الإعجاز في القرآن في داخل هذا النطاق فحسب أما عند عبد القاهر فهو عمل مدروس ومحور يدور حوله كتاب الدلائل كله...."[2]

—

01: عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ط 1،2001 ص 93

02 : أحمد سيد محمد عمار ، نظرية الإعجاز القرآني ص 150

* مفاهيم متعلقة بفكر النظم :

I. اللغة و الفكر :

استهل الجرجاني في كتابه الدلائل بالإشادة بفضل العلم الذي تميّز به الإنسان عن سائر المخلوقات والذي قال فيه :" لولاه لما بان الإنسان من سائر الحيوان إلا بتحظيظ صورته وهيئة جسمه و بنيته " [3] بهذا ينطلق الجرجاني من فكرة مفادها أن ما يميّز الإنسان عن سائر المخلوقات هو العلم الذي يعني قدرة على الإدراك و الفهم ، فهذه الفكرة اتخذها مطيلة ليربط اللغة بالتفكير و يحاول بعدها إبراز دور التفكير في نشوء اللغة كما يبحث عن أصل اللغات الإنسانية في خاتمة الكتاب و ذلك بسبب وضع المفردات .[4]

إذ يقول فيه :" أعلم أنها هنا أنت أصلا ترى الناس فيه في صورة من يعرف من جانب و ينكر من آخر و هو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللّغة ، لم توضع لتعرف معانيها في أنفاسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد" [5]

و استمر الجرجاني في التفصيل و الشرح و مناقشة مفردات اللغة انطلاقا من القول بأن اللغة مواضعه عاد ليناقش مفرداتها انطلاقا من أنها إلهام ، فقال : "و أنقلنا في العلم و اللغات من مبتدأ الأمر : أنه كان إلهاما فإن الإلهام في ذلك إنما يكون بين شيئين يكون أحدهما مثبتا و الآخر مثبتا له ، أو يكون أحدهما منفيا له "[6] و الفرق بين المقولتين واضح أن في الأول تعرض للمفردة و إنها كانت بالوضع و علاقة للفكر فيها كما ضرب أمثله بمفردة .(رجل و فرس و غيرها...) بينما في الثانية الإلهام يكمن في عملية الربط بين المثبت له أو المنفي و أن الكلام لا يعقل إلى بالجمع بين جزأين ، قد يكون اسم و فعل أو اسم و اسم .

—

03 :عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز ،ص :02

04: د. جعفر دك الباب، الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، نظرية الإمام الجرجاني اللغوية و موقعها في علم اللّغة العام الحديث ، ، دار الجليل ، لسنة، دمشق ، ص 31

05: عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص 02

06: المصدر نفسه ص 334

و بهذا يكون الجرجاني قرر " ما يقرره علماء اللسانيات اليوم من أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات "[7]و على هذا الأساس بنى كل تفكيره اللغوي فهو إذا يسبق النظريات الحديثة التي تؤكد أن لا لغة بدون فكر و لا فكر بدون لغة .

II. المعنى و اللفظ :

جاء الجرجاني في وقت لم يحسم فيه المعركة بين اللفظ و المعنى التي " نشأت في جو ديني يدور حول بيان الإعجاز في القرآن و مرجعة إلى أيهما : اللفظ أم المعنى أم لكليهما معا ؟ من ثم فإن عبد القاهر الجرجاني حين يعرض لهذه المشكلة فإنه يصلحها بالإعجاز من جديد بعد إن انفصلت عنه زمنا على أيدي كثير من النحاة و النقاد من أمثال ابن جنّي و الامدي و القاضي الجرجاني " [8]

اتخذت قضية اللفظ و المعنى وسيلة لإثبات إعجاز القرآن من طرف الفرق الكلامية خاصة بين المعتزلة و الأشاعرة فالمعتزلة اتخذوا من اللفظ نقطة انطلاق و أصروا على أن الإعجاز يكمن في اللفظ لان المعاني لا يقع فيها تزايد و إنما التزايد موجود[9] في الألفاظ التي تعبر عنها ، بينما الأشاعرة لا يرون أن التزايد في المعاني لا في الألفاظ و الجاحظ يرى أن " المعاني القائمة في صدور العباد ، المتصورة في إنهائهم و المختلجة في نفوسهم و المتصلة بفواصلهم واحادثة عن فكرهم مستورة خفية و بعيدة و حشية ، ومحجوبة مكنونة و موجودة في معنى معدومة .... وإنما تحي تلك المعاني . ذكرهم لها و إخبارهم عنها و استعمالهم إياها...."[10]

—

07: د،محمد مندور ، في الميزان الجديد ، دار نهضة مصر للطبع و النشر القاهرة ص 177 .

08: عبد القادر المهيري، مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني ، ص 108

09: سعيد حسن بصيري ، دراسات تطبيقية ، ص 160

10: الجاحظ، البيان و التبيين ، ج 1 ص 77

أي أن المعاني المتصورة في الأذهان لا تحيا إلا عند ذكر الكلمات الدالة عليها ، يعني أن اللفظ هو الذي يستدعي المعنى ليستعمل في نشاط كلامي و يتفاعل اللفظ مع غيره لتأدية وظائف تركيبية للكلام [11] ، فالفضل حسب تقدير الجاحظ راجع للفضل أما الأشاعرة فالمزية تكمن في المعنى لهذا عدّ الكثير من الباحثين الجرجاني لأشعرته من أنصار المعنى و يثبت ذلك في قول أحدهم " و لقد تناول عبد القاهر الجرجاني في هذه المشكلة (يقصد اللفظ و المعنى) من زاوية أخرى ألا و هي : لمن السيادة للشكل أم المعنى ؟ و لقد جعلها للمعنى فهو المتصرف في نظم الألفاظ و طريقة تواليها بعضها بعد بعض " [12]

و استدل على ذلك بما جاء في الدلائل " و مما يجب إحكامه يعقب هذا الفصل الفرق بين قولنا حروف منظومة و كلم منظومة و ذلكن نظم الحروف هو تواليها في النطق ، و ليس نطقها بمقتضى عن معنى ، و لا الناظم لها بمقتف وفي ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه .....أما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك . لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني ، و ترتيبها على ترتيب المعاني في النفس " [13] و يقول عبد القاهر في مواضع أخرى :" ....و هل تجد أحدا يقول : هذه اللفظة فصيحة ، إلاّ و هو يعتبر مكانها من النظم و حسن ملائمة معناها لمعاني جارتها و فضل مؤانستها لأخواتها ؟ و قالوا : لفظة متمكنة و مقبولة و في خلافة : قلقة و نابية ومستكرهة إلاّ و غرضهم أن يعبروا بالتمكن عن حسن الاتفاق بين هذه و تلك من جهة معناها و بالقلق والنبوّ عن سوء التلاؤم ، وأن الأولى لم تلق بالثانية في معناها وأما السابقة لم تصلح أن تكون ..... للتالية في مؤداها ."[14]

—

11: حسن طبل ، يراجع المعنى في البلاغة العربية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ط 1 1998 ص 10

12: جلال شمس الدين، الأنماط الشكلية نظرية و تطبيقا دراسة بنيوية ، مؤسسة الثقفة الجامعية ، الاسكندرية 1999 ص 38.

13 : عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الاعجاز ، ص 42

14: المصدر نفسه ،ص : 36

هذا إن النص ونصوص أخرى متشابهة مع النص الآتي الذي يقول فيه : "واعلم أن الداء الدوي الذي أعى أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه و أقل الاحتفاظ باللفظ و جعل لا يعطيه من المزية ، إن هو أعطى .إلاّ ما فضل عن المعنى يقول :ما في اللفظ لو لا معناه و هل الكلام إلا بمعناه" [15]

إنّ موقف الجرجاني ممن " .....يسوون في صناعة الأدب بين اللفظ والمعنى ، و إن لم يصرح بذلك لأنا نجده أحيانا يثني على اللفظ دون المعنى ، و أحيانا أخرى يثني على المعنى دون اللفظ و لعله كان يقصد الرد على المتطرفين فلام كلا الجانبين لنفي ذلك التطرف إلى جانب دون آخر و غرضه من ذلك إثبات التساوي بين العنصرين : الألفاظ و المعاني ...."[16]

لأن مقولاته تلك كانت هجوما على أنصار اللفظ و أنصار المعنى ، فراح يؤكد أن الكلام شعرا كان أم نثرا فضلا على القرآن لا يمكن إرجاع المزية التي تظهر فيه إلى ألفاظه دون معانيه و لا إلى معانيه دون ألفاظه و على هذا الأساس كان يتعقب شبه الطائفتين بكل سبيل و بين أخطائهم بكل دليل حتى انتهى به الرأي إلى ان حسن اللفظ وحده لا يعدوه أن يكون رشيقا و خفيفا على اللسان مألوفا .

و أن حسن المعنى لا يعد دلالته على أدب فاضل أو خلق كريم أو حكمة صائبة فأما الشرف الذي تتفاضل به أقدار الكلام و تتباين مراتبه و منازله حتى يكون منه المعجز الذي لا يرام والسابق الذي لا يدرك و النازل الذي لا يوزن فإنما غير اللفظ و المعنى .[17]

—

15:يراجع المصدر نفسه ص 36-41-42-43

16:المصدر نفسه ص 194

17: عبد العظيم عبد المعطي ،خصائص التعبير القرآني و سماته البلاغية مكتبة و هبة القاهرة ط1 1997 ج1 ص8.

III. النظم و المعنى:

أخذ النظم مفاهيم عديد اختلفت باختلاف مذاهب قائليها فمنهم من اكتبره :" هو الذي يبرز الأسرار و النكت في أسلوب القرآن و يكشف الفروق المعنوية الدقيقة بين خصوصيات التراكيب و يربط هذه الخصوصيات بالسياق و الغرض العام ."[18]

بينما النظم عند عبد القاهر حدد صاحب الأسلوب بين المعاصرة و الثرات بأنه :

" إدراك المعاني النحوية و الملائمة بينها و بين المعاني النفسية في نسج الكلام و تركيبه و في ضوء ذلك نفهم تعريف عبد القاهر المنظم .....النظم إذ يتحقق عن طريق إدراك المعاني النحوية و استغلال هذا الإدراك في حسن الاختيار و التأليف " [19]

و بعدها حدد صاحب المقولة نقطتان أولهما انه يجب التفريق بين النحو و المعنى الشائع و بين معاني النحو ، و اعتبر الأول المقصود به الإعراب و تقويم اللسان عند النطق بالكلمات على طريقة العرب و ثانيها إن التفاضل البلاغي و الجمالي تقوم على أساسه نظرية النظم لا يصلح له هذا النحو الشائع لأنه لا يمكن للجمل أن تتفاضل بأن بعضها أكثر إعرابا من البعض الآخر وإنّما الإعراب يكون شرطا لصحة الجملة"[20]

- وأوضح الدكتور إبراهيم سلامة عند تفسيره لمفهوم النظم من خلال عبارة الجرجاني المعروفة

.

-

18: ، محمد أبوموسى البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري و أثرها في الدراسات البلاغية ، مكتبة و هبة ط2، 1988 ص 237.

19: أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة و الثراث ،ص 104

20: يراجع المرجع نفسه ص 105

قال :" وجب أن تفهم عنه أنّه لا يقصد الإعراب و اللغة و إنّما موضع الفاعلية أو المفعولية مثلا إنّما يهدف إلى موجبها"[21]

و إذا عدنا لكتاب الدلائل نجد الجرجاني في عرضه لمفهوم النظم لم يكن دفعة واحدة بل تدرج في ذلك فأول مهد لمفهوم بيانه و ذلك بمساواته بالتعليق بقوله :" معلوم أن ليس النظم سوى تعليق الكلام بعضها ببعض و جعل يصفها بسبب من بعض " [22] ثم نجده يسرد لنا أغلب المصطلحات التي استخدمت إلى جوار النظم على نحو يشعر بأنها ترادفه مثل : الترتيب ، التركيب الصياغة ، التصوير و النسج ..... (و في الأخير أن مفهوم النظم)

وفي الأخير نقول بن مفهوم النظم بدأ ساذجا و بسيطا ارتبط ببعض التعليقات العامة ثم اخذ يتسع شيئا فشيئا عند ارتباطه بقضية الإعجاز و هذه الأخيرة جعلت الجرجاني يتفرد به على المستوى ألتنظيري حيث وقف بحق على الجهود السابقة في هذه المسألة و استخلص لنفسه منها تصورات عدة بوقوفه عند اللفظ و المعنى و اللغة و الفكر و النظم و المعنى التي وفق بينها لتشكيل نظرية معاني النحو التي اشتهرت بنظرية النظم و تفرده الحقيقي يكمن في تحليلاته التي تتجاوز بها حدود التنظير إلى التفسير بالتنفيذ.

–

21: سعيد حسن بحيري ،دراسات لغوية تطبيقية ،ص 190

22:عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 09

النظم في النقد و البلاغة :

نجد في الدراسات البلاغية القديمة أنها قد تعاملت مع النص أو الخطاب من خلال الوقوف على القضايا الشكلية الخارجية فقط ، و لعلّ تجزيء علوم البلاغة (علم البيان ، علم المعاني ، و علم البديع) يؤكد مفهوم تجزئة مكونات الكلام خصوصا أن البلاغة تهمل الحالة النفسية و الاجتماعية للمتكلم مما جعل بعض (النقاد المحدثين يشترطون مقدمة لدراسة البلاغة العربية و هي مؤلفة من علم النفس و الاجتماع و مواقف من الحياة الحضارية الإنسانية في الوقت الذي كان فيه القدماء يشترطون مقدمة البلاغة في الفصاحة و البلاغة .[1]

أ: سياق تأليف الخطاب عند الجرجاني :

يتوجب علينا أثناء البحث عن المقاصد التي بنى عبد القاهر الجرجاني في خطابه وفقها أن نبحث في الخلفية الاجتماعية التي طبعت عصره و ما يميز هذا العصر الذي نشأ فيه الجرجاني هو أنه كان عصر جدال و مناظرة بحي كانت قائمة هذه المناظرات على قضية الدفاع عن الإعجاز القرآني و قد شملت المناظرة مختلف فروع المعرفة آنذاك.

و هذا ما جعل الملامح تؤثر على الخطاب البلاغي لدى عبد القاهر مما جعل الخطاب يمتاز بالطابع الجواري باعتباره متحديا و مطالبا بالحجة و البرهان .

فكان الإطلاع على قصده في الكلام (أو الخطاب) باعتباره متكلما أمر " مرتبط بمعرفة ظروف النص الموضوعية ووضعية المتكلم و مكانته و وضعية المخاطبين .ففهم الخلفيات المعرفية و الظروف

—

01: أبو علي محمد بركات حمدي، فصول في البلاغة " دار الفكر للنشر و التوزيع ، عمان ، ط 1 ،1983 ،ص 139

التي شكلت النص (أو الكلام) مفاتيح هامة لإدراك المعاني التي يكتنفها النص " [02] يتجلى من خلال هذا القول ضرورة ربط الخطاب بسياق إنتاجا قصد الوصول إلى التأويل المناسب للكلام .لهذا فإن ربط أقوال وخطاب الجرجاني بالعصر الذي ظهر فيه أمر يستوجبه الصعام لأن القارئ لا يواجه الخطاب خالي الذهن و إنما يتسلّح بأدوات إجرائية تمكنه من بلوغ القصد من الأقوال أو النص الذي بين يديه .

و يرى محمد مفتاح انه لا يمكن إغفال دور السياق الاجتماعي في تشكيل الرسالة التي هي في الأساس موجة للمجتمع حيث يقول :" توضع مدمرات النسق الثقافي و المسلمات الإيديولوجية و المعتقدات موضع المسألة والمراجعة و النقد في ضوء قراءة تعتمد في منطلقاتها على على استراتيجيات عديدة ....بتحويل علاقة النص بالثقافة التي انتجته إلى نتاج فكري

هو فكري و ثقافي يغني الرصيد المعرفي للثقافة و يعيد اكتشاف النص من زاوية أخرى" [03]

و يرى مصطفى ناصف الذي رما يتوافق رأيه مع محمد مفتاح في هذه النقطة أن " اللغة لا تنكشف من داخلها فحسب بل تنكشف أيضا في علاقتها بالمتكلم و المجتمع"[04] لهذا فإن فهم النص يكون بعقد علاقة مع سياق العصر و الذي يتجسد خاصة في كتاب دلائل الإعجاز من خلال ظروف القرن الخامس هجري و من بينها كثرة الآراء الكلامية.

و يقول الجرجاني في شأن ارتباط الفصاحة بالنظم لا باللفظ " و هل نجد أحدا يقول :(هذه اللفظة فصيحة) إلا و هو يعتبر مكانها من النظم و حسن ملائمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها ؟)[05]

—

02: محمد مفتاح ، المقصد و الإستراتيجية ، كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، سلسلة بحوث و مناظرات ، الدار البيضاء ، المغرب ، 1993 ،ص 58

03: عبد الفتاح يوسف ، قراء النص و سؤال الثقافة ، استبدال الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2009 ،ص 13

04: مصطفى ناصف ، محاورات مع النثر العربي ، سلسلة عالم المعرفة 1997 ،ص 12

05: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ص 44

تبنى عبد القاهر رأيا أيّد فيه خدمة المعنى في النص بربطه بالنظم والسياق والقصد وقد أشار محمد الولي يحكم على رأي عبد القاهر بالاستقلالية العلمية التي أخرجته من فئة الذين يتحولون في مجال العلم إلى دعاة و إنما كان همه هو التوجيه بإتباع أسلوب المعلم و استقلالية رأيه .[06]

ب – سلمية النظم البلاغي عند الجرجاني :

نعني بسلمية النظم البلاغي هو ما يوفره اللفظ البلاغي من معنى عبر التغيرات التي تطرأ عى نظم القول من طرف المخاطب نحوم مخاطب بحمولة قصدية و حجاجية رغبة في إقناعه بالحجة و البرهان .

يرى عبد القاهر الجرجاني يتجسد في طريقة نظمه لهذا فإن الاهتمام بالنظم و رعايته هو السبيل إلى حصول الإقناع في القول أو الخطاب عامة [07]. و هذا ما سعى إلى تبيانه من خلال التطرق إلى الإعجاز في القرآن من جهة نظمه .

حيث تظهر سلمية النظم البلاغي عند الجرجاني من خلال الأثر الذي يطبعه على المخاطب – المتلقي – " لأن البلاغة بصفة عامّة و الحجاج منها بصفة خاصة يمكّن المتكلم من وسائل كثيرة للوصول إلى المخاطب و زحزحته عن موقعه ".[08]

و يظهر الهدف من استعمال المكون البلاغي في القول أو الكلام أنه لترسيخ مبدأ التواصل مع المتلقي عن طريق البرهان و الدليل . مع مراعاة معاني النحو – القواعد النحوية و هذا ما يؤكده محمد العمري بقوله :" فالتصور التداولي ألمقصدي في الدلائل قد حاول استيعاب المادة الانزياحية و تهذيبها بجعلها مشروطة بالنظم و تابعة له " [09]

–

06:ينظر ، محمد الولي، الاستعارة في محطات يونانية و غربية دار الأمان ، ص 180

07: ينظر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، ص 231

08: محمد سالم محمد الأمين،الحجاج في البلاغة المعاصرة ، الكتاب الجديد المتحدة ، لبنان ، ط1 ، 2008 ص 12

09: محمد العمري ، البلاغة العربية و أصولها و امتداداتها ، إفريقيا الشرق ، المغرب ،1999 ص 353 ، 354

إذن فقد كان النظم له إستراتيجية يلجا لها المخاطب المتكلم – من أجل تأكيد القصد إما بالإثبات أو النفي و ذلك عن طريق الدليل الذي يمارس في القول و هذا ما جعله عبد القاهر الجرجاني كوسيلة للإقناع لدى المتكلم .ككفاءة كامنة تظهر عن طريق النظم .

أما البحث عن تطعيم الخطاب بالقول المجازي (الاستعارة) فقد قدم لا يكوف مثلا حجاجيا على ذلك رأي من خلاله الحجاج و العدل يتعلقان بطريقة توظيف البنية اللغوية على سبيل الاستعارة لهذا رأى أن الاستعارة لا ترتبط بالغة أو بالألفاظ و إنما تواجدها يكون حسب الفكر البشري و ما وجود الاستعارة إلاّ ترجمة للنسق التصويري لدى كل إنسان [10] إذن فالقول يتعلق بالمعنى النفسي أولا ثم يصاغ ليكون حجة على المعنى الداخلي للمتكلم.

ج: أهمية النظم :

عند حديثنا عن نظرية النظم ينبغي أن لا نغفل عن أهمية النظم فميدان النظم عالم رحب من الجمال و دنيا واسعة من البهاء إذ يعدمن أكثر العلوم العربية كناية واهتمام بكتاب الله العزيز .

حيث تتحلى تلك العناية في الكشف عن إعجازه و أسراره اللغوية ومكوناته البلاغية ، فيمكننا القول " إن بلاغة القرآن الكريم ترجع إلى النظم و يصبح بذلك النظم الوجه العام أو المرآة التي تعكس وجوه البيان و المعاني والبديع إذ كان عفو الخاطر "[11]

فالنظم هو منهل عذب يفيض بالحسن و الصفاء فهو إطار عام ينضوي تحت لوائه علوم البلاغة الثلاثة :(المعاني و البيان و البديع) /" فلو لم ندخل صور البيان في جوهر النظم الذي يتعلق به

—

10:ينظر : جورج لايكوف ومارك جونسون ،الاستعاراتالتي نحيا بها ، ترجمة عبد المجيد جحفة دار توبقال ، الدار البيضاء ، ، ط1 ،1994 ص 19

11: فتحي أحمد عامر، فكرة بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، المجلس العلمي للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ط1 1980 ،ص 112

إعجاز القرآن لجردنا كثيرا من الصور البيانية عن دلالاتها الخالدة و في القرآن ألوان من التشبيهات و الاستعارات والكنايات تتضاءل أمامها قدرة التعبير عند الإنسان المتمرس البليغ " [12]

و قد نوّه الإمام الجرجاني بعظيم شأن النظم و علوّ مكانته عند العلماء في قوله :" و قد علمت إطباق العلماء على تعظيم شأن النظم و تفخيم أمره و التنويه بذكره أن لا فضل مع عدمه" [13]

و أشاد الزمخشري إشادة عظيمة بالنظم . فهو بمثابة أم الإعجاز و درب التحدّي . قائلا : " النظم هو أم إعجاز القرآن و القانون الذي وقع عليه التحدي و مراعاته أهم ما يجب على المفسر " [14]

ولم يغفل العلماء المحدثون الإشادة بنظرية النظم فقد أشاد بها محمد منثور و رفعها إلى مصاف النظريات الحديثة في علم اللغة . حيث يقول :" إن منهج عبد القاهر يستند إلى نظرية في اللغة ، أرى فيها و يرى فيها كل من يمعن النظر أنها تماشي ما وصل إليه علم اللسان الحديث من آراء"[15]

أمّا فضل حسن عباس فقد أجاد في فضل أهمية النظم ، و يرى أنه منهلا لا تنقضي عجائبه و نهجا يقتضي به الباحثون عن جماليات البلاغة العربية و إبداعاتها حيث يقول :" إن علم المعاني أو نظرية النظم الذي لا ينضب معينه سيظل و يبقى النور الذي يهتدي به السائرون ليكشفوا و ويكتشفوا كثيرا من أسرار الإعجاز التي لا زالت مصونة مكنونة إضافة إلى ما اكتشفوه و هو كثير"[16]

—

12: المرجع نفسه ص 113

13: عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص 124

14: أبو القاسم الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للنشر و التوزيع بيروت لبنان .د.ت ص 536

15: محمد مندور ،في الميزان الجديد ، دار النهضة مصدر للطبع و النشر ، القاهرة ، 1977 ص 176

16: فضل حسن عباس، البلاغة فنونها و أفنانها ، علم المعاني ، دار الفرقان للنشر و التوزيع ،عمان ، الأردن ، ط 7 2000 ، ص :406

و يبدع محمد عبد الله دراز في حديثه عن تفرد القرآن روعة النظم قائلا:

" و الجديد في نظم القرآن أنه فيكل شأن من شؤون القول يتغيّر له اشرف المواد و أمسّها رحما بالمعنى المراد ،و أجمعها للشوارد و اقبلها للامتزاج و يضع على مثقال ضرة في موضعها الذي هو أحق بها و هي أحق به بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآة الناصعة و صورته الكاملة ...."[17]

و مما سبق نستنتج إن للنظم أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية ، بحيث توصل بعض العلماء المحدثين إلى البحث و كشف و دراسة العلاقة المنطقية بين النظم و الأسلوب .

17: محمد عبد الله دراز ، النبأ العظيم ، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع – الكويت 1957 ص 81

الفصل الثاني

الدراسة الأسلوبية في النقد الحديث

المبحث الأول: مفاهيم و أصول الأسلوبية

المبحث الثاني:اتجاهات الأسلوبية

المبحث الثالث : تداخل الأسلوبية مع العلوم الأخرى

مفاهيم و أصول الأسلوبية

1- ماهية الأسلوب :

قبل البحث في ماهية الأسلوب لا بد أن نقف عند التعريف اللغوي و الاصطلاحي .

أ- المفهوم اللغوي : فقد جاء في لسان العرب لابن منظور عن الأسلوب :و يقال للسطر من النخيل أسلوب ، و كل طريق ممتد فهو أسلوب سواء و يجمع أساليب و الأسلوب : الطريق الذي تؤخذ فيه و الأسلوب بالضم الفن و يقال : أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين من فإن انفه لفي أسلوب إذا كان متكبرا.[01]

ب- المفهوم الاصطلاحي :

و الأسلوب في الإصطلاح الأدبي يعني طريقة خاصة في استخدام اللغة بحيث يتميز بها كل كاتب أو شاعر أو جماعة أدبية وهو ما يميز كل أديب عن غيره و ذلك في اختيار الألفاظ و تأليف الكلام و يمثل طريقته في إبداع الفكرة و توليدها وإبرازها في الصورة اللفظية [02]

و يعرف ابن خلدون الأسلوب في قوله " لنذكر هنا سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ به ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصا كما يفعله البناء في القالب أو النساج في المنوال حتى يتسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه فإن لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة فسؤال الطلول " [03]

01: ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت لبنان ط1 ، 1997 مج 3، ص 314

02ينظر: شكري عياد مدخل إلى علم الأسلوب ، ، مطبعة أصدقاء الكتاب ، القاهرة، ط3 ، 1996 ، ص :35 -40

03: عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط9 ، 2006 ، ص : 488-489

-و الأسلوب أيضا طريقة خاصة للمتكلم في استخدام اللغة أو سمة ما أو طريقة ما تحدد هوية الممارسة اللغوية في سياق معين أو اختيار مجموعة من البدائل و الإمكانات و بتعبير آخر هو الفن المعتمد على التنظيم و التناسق و طريقة من النظم و الضرب فيه قابل للاحتذاء أو الرواية و يتنوع من مستخدم لآخر و لذلك قيل الأسلوب إنسان .[04]

- و يعرف عبد السلام المسيدي في كتابه (الأسلوبية و الأسلوب) " الأسلوب مجموعة من الإمكانيات التي تحققها اللغة فاللغة بناء مفر وفن على الأديب من الخارج — و يستغلها أكبر قدر ممكن منها الكاتب الناجح أو صانع الجمال الماهر الذي لا يهمه تأدية المعنى و حسب بل ينبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها و أجملها وإذا لم يتحقق هذا الأمر فشل الكاتب و انعدام معه الأسلوب فنجاح الأسلوب يمكن في استحضار حساسية المتقبل إلى أن يصبح أساس تعريف الأسلوب هو مقياس المفاجأة تبعا لردود الفعل وعدت المفاجأة و مولدها هو اصطدام القارئ بتتابع جملة الموافقات بجملة المفارقات في نص الخطاب و على هذا المعتمد يحدد مؤلفو (البلاغة العامة) الأسلوب بحصيلة فعل القارئ في استجابته لمنبهات النص" [05]

إذن فالأسلوب هو طريقة الكاتب أو المؤلف في التعبير عن ظاهرة أو موقف ما و من خلال تعبيره يتم الإبانة عن الشخصية الأدبية لهذا الكاتب ، و تميزها عن سواها في اختيار الألفاظ والمفردات وتأليفها في صيانة الجملة أو العبارة و نظمها .

02- ما هي الأسلوبية :

- يقدم كثير من العرب الذين كتبوا في الأسلوبية تعريفهم لها مرتبطا بالنظر إليها من خلال الزاوية الغربية [06] إذ ينظر إلى الأسلوبية على أنها علم مستحدث ارتبطت نشأته الحقيقية بالدراسات اللسانية اللغوية و هي الدراسات اللغوية اللسانية التي ظهرت بوادرها في مطلع القرن التاسع عشر [07] يقول

04: صالح بلعيد ، نظرية النظم ، دار هومة ، للطباعة و النشر الجزائر 2002 ، ص 156

05: ينظر : عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب تونس ط1 ، 1977 ص 81-82

06:ينظر : يوسف أبو العدوس ، الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق، دار المسيرة ، عمان — الأردن -2007 ،ص 27

07: شكري عياد ،اللغة و الإبداع، مبادئ علم الأسلوب العربي ، 1988 ، ص 33

إبراهيم عبد الجواد :" و الدافع الحقيقي لنشأة الأسلوبية يكمن في التطور الذي لحق الدراسات اللغوية و تكاد الدراسة العربية تجمع على نشأة الأسلوبية ترتبط ارتباطا وثيقا بهذا التطور و تعده أساس الدراسات الأسلوبية و إن آمنا بأن الأسلوبية باءت وليد التطور الذي لحق العلوم لثلاثة :
النقد و البلاغة و اللغة ، فإننا نؤكد أن نشأة الأسلوبية لغوية و لا سيما التطور في مجال الدراسات الأدبية " [08] .

و من منطلق البحث عن الشعرية في النص الأدبي عرفها رومان جاكبسون (1896-1982) ROAMAN.JAKOBSON بأنها تبحث كما يتميز به الكلام الفني عن بقية مستويات الخطاب أوّلا و عن سائر أناف الفنون الإنسانية ثانيا" .

كما عرفت الأسلوبية أيضا انها " علم وصفي يعني بحث الخصائص والسمات التي تميّز النّص الأدبي الذي تتمحور حوله الدراسة الأسلوبية "[09]

و الأسلوبية تعتمد على البنية اللغوية للنص لأنه منطلقا أساسيا في عملها ، و تتمثل وظيفة البحث الأسلوبي في " فحص الأنواع المؤثرة و دراسة الوسائل التي تعبر بها اللغة و العلاقات المتبادلة و تحليل النظام التعبيري " [10] .

– لقد أصبح في حكم الثابت أن الأسلوب ثقافة تمثل نقل المعارف في علاقته بالفكر الذاتي للمتلقي لأن الأسلوب بالغة يتميز بالاكتفاء الذاتي و للأسلوبية آلة تعتمد إلى تفكيك الأسلوب للوقوف على عناصره على حد تعبير (بارت BARTHES) في أسطورية المؤلف الذاتية السرية [11]

– ومن خلال المفاهيم السابقة يتضح لنا أن الأسلوبية دراسة لغوية منغمسة في الذاتية يمكن إيداعها في المحلل كما أنها غير قابلة للقياس مطلقا و هي تأتي بعد الأسلوب ذو منتوج ذاتي متغير لمحلل النص فهي انزياح مزاجي ضمن الوسط و الثقافة ، تمكن اتجاهاتها في التفريق بين اللغة و الكلام و الرمز و الرسالة و اللغة والمقالة و تهتم أكثر بالجانب المكتوب و هي بعيدة كل البعد عن القيم التعليمية ، كما اهتمت باستعمال تلك الألفاظ و قواعدها ويعتبر التعاطف بين المحلل و النص من الضروريات في الأسلوبية ، فمفهومها بنيوي حداثي إنها تستمد معاييرها من هذا العلم الذي ينتمي إليه .[12]

08: إبراهيم عبد الله عبد الجواد، الاتجاهات الأسلوبية في النقد العربي الحديث وزارة الثقافة – عمان– الأردن ، ص 21-22

09: محمد بن يحي ،محاضرات في الأسلوبية ، مطبعة مزوار ، واد سوف الجزائر ط1 2010 ص 13

10: فتح الله أحمد سليمان ،الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، مكتب الآداب القاهرة 2004 ، ص 43

11: ينظر، صالح بلعيد ، نظرية النظم ، ص 13 – 12: ينظر، المرجع السابق ،ص 157-158

اتجاهات الأسلوبية:

" يرى العديد من الباحثين في حقلي النقد و الدراسات الأدبية على أن للسانيات " دي سوسير" الأثر الكبير على نشأة الأسلوبية التي ظهرت في القرن العشرين مع ظهور الدراسات اللغوية الحديثة و التي اعتبرت أن اللغة خلق إنساني تتميز بدورها كأداة للتواصل و نظام من الرموز المخصصة لنقل الأفكار فهي مادة صوتية لكنها ذات أصل نفسي اجتماعي و من هنا فإن مصطلح الأسلوبية أو علم الأسلوبية قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات اللغوية منذ نشأته [01]و قد اهتم الأسلوبين في إطار دراسة النصوص الأدبية في اتجاهات مختلفة فهناك من اهتم بعلاقة المبدع بالنص و مدى انعكاس شخصيته على نصه أو خطابه ، ومنهم من ركزوا على الذات النفسية المبدعة باعتبار النص وسيلة للوصول إلى نفسية المبدع المتلقي و اتجاه آخر اهتم برصد الظواهر اللغوية التي تسهم في بروز أسلوب المبدع و تحديد تلك الخصائص المميزة له.

أ- الأسلوبية التعبيرية (الوصفية):

ارتبطت الأسلوبية التعبيرية بمؤسس علم الأسلوب شارل بالي (1865-1947) خليفة دي سوسير في كرسي علم اللغة العام بجامعة جنيف الذي استمد منه ثنائية اللغة و الكلام و استثمرها في التأسيس للأسلوبية الوصفية ، و قد حصر الأسلوب في تفجير الطاقات التعبيرية الكامنة في صميم اللغة بخروجها من عالما الافتراضي إلى حيّز الوجود اللغوي الذي يمثل الكلام أو الاستعمال العقلي و الفردي و المميز للغة .[02]

01: السمات الأسلوبية في شعر الأمير عبد القادر الجزائري ، مذكرة ماجيستر ، كمال الدين عطاء الله ن جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف ، الجزائر ، السنة الدراسية : 2013-2014 ، ص 20-21

02: ينظر :أسلوبية القصيدة الحداثية في شعر عبد الله حمادي ، رسالة دكتوراه ، سامية راجح ، جامعة باتنة ، الجزائر السنة الدراسية 2011-2012- ص 5-4

فقد اهتم " تابي" بدراسة المحتوى الوجداني العاطفي التعبيري للغة باعتبارها هي المحدد في عملية التواصل بين و المتلقي " نهمة علم الأسلوب هي البحث عن القيمة التأثيرية لعناصر اللغة المنظمة ، والفاعلية المتبادلة بين العناصر التعبيرية التي تتلاقى لتشكيل نظام الوسائل اللغوية المبعثرة "[03]

و تميزت أسلوبية (شارل بالي) باهتمامه بالجانب الأدائي للغة من خلال تأليف المفردات و التراكيب انطلاقا مما يمليه وجدان المؤلف .

فحسب رأي هذا الأخير أن التركيب اللغوي يحمل مضمونا عاطفيا له دلالات تؤثر في الملتقى يقول "بالي": إن علم الأسلوب هو العلم الذي يدرس وقائع التعبير اللغوي من ناحية محتواها العاطفي " [04]

فالاتجاه التعبيري إذن ينصب الاهتمام في دراسة الأسلوب على الكلام باعتباره يعبر عن الفكر و

العاطفة و يركز أيضا على الكيفية التي تربط النص أو الخطاب بصاحبه . وبالتالي يسهل وصفه بإبراز أثر اللغة في الملتقى باعتباره الكاشف الأكبر عن الإنسان الذي هو في جوهره كائن عاطفي

قبل كل شيء و قد تأثر مجموعة من الأسلوبيين الغربيين المعاصرين بأسلوبية بالي التعبيرية فسلكوا مسلكه من أبرزهم : جولزماروزو (JULES MARROUZEAU) روبرت سايس (SAYS ROBERT) ستيفان أولمان (STEPHAN ULMANN) (1914-1976) الذي رفض حصر عقل الأسلوبية في اللغة المحكية فقط .[05]

03:علم الأسلوب مبادئه و اجراءاته صلاح فضل دار الشروق القاهرة مصر ط1 1987 ص 97

04: المرجع نفسه ص 18

05:ينظر الأسلوبية من خلال اللسانية ، عزت آغا ملك مركز الإنماء القوي ، بيروت ، لبنان .1986 ص 88-89

ب– الأسلوبية النفسية : (أسلوبية الكاتب الفردية):

يعد (ليوسبيتزر 1887-1960) رائد الاتجاه النفسي في البحث الأسلوبي و قد اهتم بالذات المبدعة على إنتاج النص الإبداعي و تشكيل خصائصه الأسلوبية : أي أن هناك ترابط نفسي بين الكاتب و إنتاجه الأدبي في إطار سياق اجتماعي تاريخي فتأثير ألترات جعل (سبيتزر) يمزج في تحليله الأسلوبي بين القيمة العاطفية النفسية للكلمات والفكرة السائدة عن لغة ذلك الزمن عند السيكولوجيين .[06]

– الأسلوبية الفردية تعد من ابرز الاتجاهات التي حددت معالم الدرس الأسلوبي و يطلق عليها أيضا : الأسلوبية الأدبية أو الأسلوبية النقدية أو الأسلوبية التكوينية و هي تعني بمضمون الرسالة و نسجها اللغوي مع مراعاتها لمكونات الحدث الأدبي الذي هو نتيجة لإنجاز الإنسان و الكلام و الفن .[07]

و تتميز الأسلوبية النفسية بإبرازأهمية العلاقة بين الشكل و المضمون و كذا الخصوصية الأسلوبية للمبدع فهي " تدرس وقائع الكلام أي الوقائع اللغوية التي تبرز السمات اللسانية الأصلية لكاتب أو

لكتاب معين"[08]و بالتالي فإن الأسلوبية الفردية ترى أن قيمة الأسلوب ترجع إلى عنصر لساني عند كاتب متميز ويصبح هذا العنصر مقدما عن غيره لتحديد الأسلوب و ذلك بالرجوع إلى لغة الكاتب و البحث عن تأثيرها اللغوي الذي يكشف تلك العلاقة النفسية الموجودة بين المبدع و نصّه.

06: ينظر إستراتيجية الدرس الأسلوبي ، معمر حجيج دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع عين مليلة الجزائر 2007 ص 93

* ليوسبيتزر : نمساوي النشأة ، ألماني التكوين فرنسي الاختصاص و هو من علماء الألسنية و نقاد الأدب من مؤلفاته دراسات في الأسلوب ، الأسلوبية والنقد الأدبي ينظر عبد السلام المسندي الأسلوبية ص 248 .

07: ينظر : الأسلوبية الرؤية و التطبيق . يوسف أبو العدوس ص 91

08: اللسانيات و تحليل النصوص رابح بوحوش عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع أربد الأردن ط 2 2009 ص 39.

ج– الأسلوبية البنيوية (الوظيفية) :

تعد أكثر المذاهب الأسلوبية انتشارا في حقل الدراسات الأسلوبية الحديثة و تشكل رافدا من روافد اللسانيات البنيوية و امتدادا لآراء (دي سوسير) المبنية على أهميتها في التفريق بين مستوى اللغة و مستوى النص .

و يعد ريفاتير (2006- م) من أهم الأسلوبيين في المدرسة الأمريكية و يعتبر من الحداثيين الذين كرسوا أغلب أبحاثهم لتطوير الدرس الأسلوبي حيث اتجهت أغلب دراساته إلى إعتبار النص كنسق لغوي ، متأثرا باللسانيات التي تعتبر اللغة كنظام أو النص كبنية و اتجهت جل تصوراته إلى عمليات التلقي و كيفياته و تحديد أنماطه و أطرافه الممكنة الفاعلة التي تعول عليها في نظام التواصل الأدبي للكشف عن مكونات النص الأدبي[09] .

و ربط ديفاتير بين الأسلوبية و نظرية التلقي و رأى أن العناصر الأساسية في عملية تحليل النص الأدبي هي النص و القارئ . وغاية الكاتب من نصه القارئ فإليه يتوجّه و عليه يريد ان يسيطر بينما مهمة القارئ تكمن في التقاط العناصر الأسلوبية المهمة في النص التي تستطيع لإحداث الأثر الأسلوبي.[10]

ويرى أيضا أن المحلل الأسلوبي يمكن أن يستعين بعدد من المخبرين ما اصطلحعلى تسميتهم بـ : القارئ الجمع أو القارئ العمدة (architecteur) الذين لهم علاقة بالنص يرصد ردودهم ليستند إليها في أبراز الظواهر الأسلوبية و الربط بين الأحكام و العلل و تبين الأثر الذي تتركه في النص .[11]

09: ينظر : إستراتيجية الدرس الأسلوبي ، معمر حجيج ص 100

10: ينظر : الأسلوبية الرؤية والتطبيق ، يوسف أبو العدوس ص 141-142

11: المرجع نفسه ص 142

و تتجلى الأسلوبية البنيوية عند في نظرية التواصل عند (رومان جاكسون) الذي يرى المنهج التواصلي جزا أساسيا من المنهاج الوظيفي للغة و الذي يعود إلى المدرسة البنيوية .

و أبرز دور القارئ في الدراسات الأسلوبية و أعطاه ذلك الاهتمام لارتباطه الوثيق بالعملية النقدية من حيث قبول المتلقي للنص فهمه ، غموضه ، استعصائه على الفهم ومحاولة التفسير ، و انفتاحه على فضاءات متعددة ونجاح المرسل عنده يعتمد على نجاح المرسل اليه.[12]

د – الأسلوبية الإحصائية :

تعتمد الأسلوبية الإحصائية على الإحصاء كوسيلة لتشخيص الاستخدام اللغوي عند المبدع و إبراز السمات الأسلوبية للنص الأدبي وخصائصه الجمالية و يلجأ المحلل الأسلوبي إلى قياس معدلات تكرار المثيرات أو العناصر اللغوية الأسلوبية [13]فالإحصاء يضفي شيئا من الموضوعية والحياء والدقة

بعيدا عن انطباعية الدارس التي كثيرا ما أوقعته في ممارسات نقدية عشوائية .

فهو " يقوم برصد أهم الظواهر الأسلوبية و ذلك من خلال مجموع المعطيات التي يكمن حصرها كميا" [14]

و يتناول سعد صلوح الأسلوبية الإحصائية بالقول : "إن التشخيص الأسلوبي الإحصائي يمكن اللجوء إليه حين يراد اعتماد المقاييس الموضوعية كوسيلة منهجية منضبطة يمكن بها استفاد الدرس الأدبي من ضباب العموم و التهويم و تخليص من سلطان الأحكام الذاتية التي تفتقد السند و الدليل و تستعصي على التحليل و التعليل وإن كانت هذه الوسائل المنضبطة في الدرس العلمي ليست بديلا للذوق بل محاولة لعقلنة الذوق" [15]

12:دراسة الاسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب ، القاهرة ، مصر ص 33-34

13: ينظر : الاسلوبية و تحليل الخطاب نور الدين السد دار هومة للطباعة الجزائر 1997 ج1 ص 107

14: نفس المرجع : ص 97

15:ينظر : في التشخيص الأسلوبي الإحصائي للاستعارة بتطبيق على أشعار البارودي وشوقي والشابي مجلة الفكر ، العدد 30 نوفمبر 1984 ص 235/234

قد أنصبت جهود الأسلوبية الإحصائيين على البحث عن الصيغ والمفردات والتراكيب التي يركز عليها المبدع ، لإبراز الفروق اللغوية بينه وبين غيره معتبرين حسب رأيهم أن الإحصاء شرط هام في الدراسة

الأسلوبية لأنه يستثمر في تحليل الخطاب ودراسة الظواهر اللغوية دراسة موضوعية تتميز بالدقة والكياد و بعيدا عن الانطباعية و الممارسات النقدية العشوائية .

– تداخل الأسلوبية مع العلوم الأخرى :

لقد استعانت الأسلوبية في بداية نشأتها من تلك العلوم كالصوتيات و علم التراكيب و علم الدلالة ، البلاغة النقد اللسانيات و النحو وعلم النفس علم الاجتماع والعلوم السياسية و العلوم الرياضية .....للتأسيس لمجالها العلمي و التحليلي لإبراز نقاط التلاقي و الاختلاف.

وبقد إفادة تلك العلوم الأسلوبية و إعانتها على إثبات هويتها و شرعية وجودها فقد احتاجت هي أيضا إلى الأسلوبية في معالجة اشكالاتها و أطروحاتها و تحليل قضاياها ومواضيعها المتعددة .[01]

أ- **الأسلوبية علم اللغة** :

لقد قع اهتمام العرب بالدرس اللغوي باهتمامهم بالنص القرآني حرصا منهم على تنقية لغتهم وفصاحتها و لا سيما بعد دخول الأعاجم في الإسلام فاستهدف اللغويين و النحاة جمع لغتهم لحفظها من التشويه و التحريف و لفهم النص القرآني و الوقوف على معانيه و اجتناب التحريضات سواء في الأصوات و الألفاظ أم المعاني وكذلك الأساليب و القواعد .[02]

وتعد الأسلوبية من المناهج الأساسية التي اعتمدت عليها الدراسات اللغوية في تحليل النصوص هذا الأمر أثار جدلا كبيرا و تساؤلات كثيرة حول حقيقة الأسلوبية هل هي علم مستقل أم منهج ؟

وهذا الأمر يصعب تحديده لأن النقاد العرب اختلفوا فيه فمنهم من اعتبرها علما عاما كلهم اللغة أو علم الكلام باعتبارها منضوية في علم اللسانيات أو فرع من فروع اللغة بينما رفض بعضهم بوصفها بعلم لعدة أسباب أولها نابع من طبيعة الدراسات الأسلوبية نفسها .[03]

01: ينظر : البلاغة و الأسلوبية ، محمدعبد المطلب الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان .ط1 1994 ص 217

02:يتنظر مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية ، إعداد الطالبة نسيمة ناجي ،مذكرة ماجيستير ، جامعة تيزي وزو الجزائر ،2010 -2011 ص 28

03: أنظر : الأسلوبية ضمن مهرجان شوقي وحافظ الذي أقيم بالقاهرة سنة 1982 ،مصلوح سعد، مجلة فصول، مج 5،ع1. أكتوبر 1984-، ص 217.

على الرغم من أن كلمة "أسلوب" بمعنى طريقة العرض " قد عرفتها الثقافة الألمانية منذ القرن الخامس عشر فإن العلم المعنى بالأسلوب و الأسلوبية لا يزال حديثا نسيا و إن الأسلوبية بمفهومها الجديد وبوصفها مصطلحا مستقلا لم تر النور في اللغات الأوروبية إلا منذ القرن التاسع عشر و لم يظهر بصورة واضحة إلى في مطلع القرن العشرين و ظهور هذا المصطلح قد قاد صاحبه لظهور العديد من النظريات اللغوية الحديثة التي كان رائدها العالم اللغوي دي سوسير الذي كشف عن اوجه التمييز بين اللغة و الكلام " وقد كان هذا التمييز بين اللغة كظاهرة لغوية مجرّدة توجد ضمنها في كل خطاب بشري و لا توجد آبد هيكلا ماديا ملموسا و الكلام باعتباره الظاهرة المجسدة للغة مساعد على تحديد مجال الأسلوبية.

إذ أنها لا يمكن أن تتصل إلا بالكلام و هو الجزء المادي الملموس الذي يأخذ أشكالا مختلفة قد تكون عبارة أو خطابا أو رسالة "[04]

* وقد ركزت المدرسة السويسرية على الدراسات اللغوية في اعتماد المنهج الأسلوبي حيث اعتبرت الأسلوبية هي أساس للأدب و النقد و لولاها لما تشكلت صورة أدبية نقدية عن النص كونها قد اهتمت بدراسة الوقائع اللغوية و مجموع السمات اللسانية الأصلية لكاتب من الكتاب و بكتاب من الكتب أنها تركت للنقد ولشرح النص أمر دمجهم و تأويلهم ضمن حالاتهم الخاصة و توخّت بذلك الحفاظ على علم مستقل للأسلوب يتجه إلى الشكل اللساني تكمن مهمته في إعطاء تعاريف وتصانيف و ملاحظات للنقد "[05]

لقد كان تركيز دي سوسير على اللفظة خصوصا في النص على اعتبار أنها لا تشكل أي أهمية و هي مستثناة من النص الأدبي فهي تكتسب أهميتها عند ورودها في النص الأدبي بحيث تشكل المعنى المراد و الدلالة الموجودة في النص .

04: البلاغة و الأسلوبية محمد عبد المطلب ص 204

05: الأسلوبية ، بيرجيرو ، ترجمة منذر عياش مركز الأنماء الحضاري حلب ط2 1994 ص 76

و علينا ملاحظة مقولة سوسير بجزافية العلاقة تعتمد عليه هذه الوحدات الجزافية أو التعسفية وكأننا بهذا أمام متقابلين : أحدهما يقر بالعشوائية و الآخر يقر بالتنظيم وهذا التقابل يؤدي إلى تجانس عام

ذلك أن المكان الذي تحتله اللفظة وسط سلسلة التعبير هو الذي يزيل عنها عشوائيتها ويضعها تحت الشكل النظامي داخل الكلام " [06]

ومن هذه المبادئ اللغوية استفاد شارل بالي من آراء أستاذه دي سوسير فجعل من الأسلوبية علما مستقلا بذاته ، و عد العناصر اللغوية جزءا لا يتجزأ من الأسلوبية فحسب رأيه أن اللغة تتكون من نظام لأدوات التعبير التي تتكفل بإبراز الجانب الفكري من الإنسان و ليست مقصورة على الناحية الفكرية وحدها بل أنها تعمل على نقل الإحساس و العاطفة و إذا كان الإنسان هو صاحب اللغة وصائدها فلا بد أن تعبر عن الفكر و العاطفة وتنقل الجانب المنطقي و الجانب الانفعالي له .[07]

و مقابل هذه النظرة المعاصرة نحو الأسلوبية نجد عبد القاهر الجرجاني الي وقف عند تقنية اللفظ و المعنى حيث لم يرى داعيا لتنافس في معرفة أيما أفضل اللفظ أم المعنى إذ وجد لكل طرف منهما دورا هاما في النص " و يلاحظ هنا تصحيح مقولة شاعت عن عبد القاهر و هي اهتمامه بالمعنى على حساب اللفظ ذلك أن الرجل حقق أصول نظريته في منطقة الصياغة الخارجية و إن كان هذا لا ينفي ارتدادها إلى المستوى الباطني أو بمعنى آخر إلى الحركة النفسية " [08]

و يعد عبد القاهر رائد في فهم المستوى الأسلوبي للنص البنيوي من خلال نظرية النظم و ملاحظاته الدقيقة للعلاقة بين الأسلوب الذي هو صياغة الكلام و بين اللغة و النحو و البلاغة و بذلك يقترب كثيرا من الأسلوبيين و البنيويين كما تطابق جل آرائه في وجوه و

06: البلاغة و الأسلوبية محمد عبد المطلب ص 174

07: ينظر : المرجع نفسه ص 175

08: قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني – محمد عبد المطلب – الشركة المصرية العالمية للنشر ، كونجمان ط 1 1995 ص 10

- الأسلوب مع آراء البنيويين المعاصريين و الأسلوبيين المجددين في النقد الأدبي البلاغي ، و لو لم يكن لعبد القاهر من مأثرة غير اهتدائه لمرتكزات نظرية الأسلوب الأساسية لكفاه ذلك فخرا فكيف إذ أدركنا أنه وضع علم البيان و النظم في الموضع الصحيح بعد إذ كان السابقون قد وضعوه في المسار الخاطئ .[09]
- و يرى الجرجاني في هذا السياق أن الاعتماد على اللفظ وجده لا يؤدي إلى مفهوم واضح للنص أو الخطاب الموجه ،إذ يفقد النص روحه و حيويته ." إن العلم باللغة من حيث هي ألفاظ و قواعد لا يؤدي حتما إلى جودة الكلام و الشعر فأولئك الذين فضلوا شعر الأقدميين بحجة انهم اعلم من المحدثين باللغة ، أو فضلوا الشعر العرب على المولدين بحجة أنهم دخلاء عليها .....و ان الدخيل في اللغة لا يبلغ مبلغ من نشأ عليها فقد أحطوا خطأ كبيرا فليس الفضل في علم بألفاظ اللغة أو قواعدها و إنما هو طريقة الاختيار و التصرف بهاتيك القواعد و هاتيك الألفاظ .[10]
- حيث توصل هذا الشيخ الفاضل إلى ان كل تركيب يحمل فكرة عامة أو مفهومها ثم يكتسب هذا التركيب دلالية يتميز بها عن نظائره الأسلوبية بأثر الظروف اللغوية و غيلر اللغوية المحيطة بالتركيب.[11]

- و يرى إبراهيم خليل أن الكاتب حين يباش كتابه نص ما فإنه يبحث عن اللفظ المعجمية التي تحقق هدفه بحيث يضعها في مكانها المناسب ، ثم يبحث عن المعنى الملائم الذي يوضح

09: الأسلوبية و نظرية النص غبراهيم خليل المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط 1 1997 ص 77

10: دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، دار المعرفة بيروت 1981 ، ص 192-193

11: ينظر البدائل الأسلوبية : دراسة في تركيب نحوية في النص القرآني عبد المنعم عبد الحليم ، العطار سليمان ، (الأسلوبية علم و تاريخ) مجلة فصول مج 1 ع 2 ، 1981 ،ص 17

- دلالة اللفظة يقول :" إن الحديث عن الأسلوب يعني الحديث عن الإختيارchoise فالكاتب ينتقي من المعجم و ينتقي من دلالات اللغة التي يستخدمها ثم ياتي بعد ذلك الإختيار الثانوي و هو اختيار المعاني و عندما نتحدث عن الاختيار هنا فانا غالبا ما نقصد النوع الأول باعتبار أنه اختيار مادة الموضوع بالمعنى الواضح للكلامة"[12]
- يرى أيضا محمود عياد في كتابه " الأسلوبية الحديثة" أن إعتماد الأسلوبية على الدراسات اللغوية يتنابع من دور هذه الأخيرة في الكشف عن العلاقات الدقيقة في النص الأدبي مما جعل الخطاب الأدبي موضوع لدراسة نقدية أسهمت في رفع مستوى الأسلوبية إذ إتخذت منها كوسيلة للتحليل و هذا لا ينفي طبيعة العلاقة بين الأسلوبية و اللغة و يرى أيضا ان الأسلوبية دراسة لغوية في الأصل تعتمد على تحليل الظواهر اللغوية و بنية النص " و لهذا السبب فإن الصلة الوثيقة بين الأسلوبية و علم اللغة جعلت للأسلوبية مكانة بارزة في النقد الأدبي فأصبحت تحتل المكانة التي كانت تحتلها الدراسات النفسية و الاجتماعية أو غيرها من الدراسات التي ساعدت الناقد الأدبي طويلا ، بل ان الأسلوبية من هذا المنظور ساعدت على مفارقة الناقد لهذه الدراسات التقليدية و اقتربت به أكثر من طبيعة عمله و هي تحليل العلاقات اللغوية للنص الأدبي" [13]

و بذلك تكون الأسلوبية قد إعتمدت على علم اللغة في بعض الجوانب و تفوقت عليه في جوانب أخرى حيث فتحت مجال واسعا أمام الدارسين لتناول قضايا عدة تتعلق بالنص الأدبي بحيث ترتبط هذه الظواهر المشتركة لتكوّن رؤية تعبر عن روح المبدع و نفسيته ، و مع ذلك

12: الأسلوبية و نظرية النص ، إبراهيم خليل ، ص 74

(13) : الأسلوبية الحديثة : محاولة تعريف ، مجلة فصول ، مج 1 ، ع 2 ، 1981، ص 124

14: المرجع نفسه ص 124

تبقى بعض الآراء تحول عكس ذلك و تقر ان الأسلوبية لم تكن " في أول الأمر سوى منهج من المناهج اللغوية المستخدمة في دراسة النصوص الأدبية و لا يزال هناك الكثير من الباحثين ينظرون إلى الأسلوبية باعتبارها منهجا مستوحي من المناهج اللغوية كما لو كان مجزء وصف لغوي

للنصوص الأدبية و لهذا السبب يعدها بعض هؤلاء الباحثين فرعا من فروع علم اللغة العام .[14]

و عليه نستطيع إن نقول إن الأسلوبية استفادت من المباحث اللغوية التي شكلت القاعدة التي انبت عليها كعلم قائم بذاته ، ما أتاح لها مقالا واسعا في معالجة الظواهر القوية .

ب– الأسلوبية و النقد :

لقد ساهمت الأسلوبية في الربط بين مختلف العلوم و في حق التنافس و التكامل في المهام و في مجال الدراسة التي تعد من المناهج الحديثة التي ترتكز على دراسة النص الأدبي معتمدة على التفسير و التحليل " فالأسلوبية جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب و هي صلة اللسانيات بالأدب و نقده و بها تتنقل من دراسة الجملة " لغة" إلى دراسة اللغة نصا ، فخطبا فأجناسا" [15]

و يمن أن نصنف العلاقة بين الأسلوبية و النقد إلى ثلاث اتجاهات :

الاتجاه الأول :

ينطلق من ان : " الأسلوبية و النقد الأدبي يلتقيان في أن كليهما يهتم بالنص الادبي و لكن يختلفان في المنهج و البعد النظري و كيفية معالجة النص و تحليله"[16]

15: الأسلوبية و تحليل الخطاب مركز الانماء الحضاري ط1،2002 ، ص 27

16:الأسلوب و الاسلوبية بين العلمانية و الادب الملتزم بالإسلام ، عدنان على الرضا النحوي ، دار النحو للنشر و التوزيع ، 1999 ، ص :188-189

و الأسلوبية تعتمد اعتمادا كبيرا على اللغة مما يجعل مجاله محدودا صيقا بينما النقد يتخذ من الدراسة اللغوية دراسة ثانوية ففي النقد بعض ما في الأسلوبية و زيادة و في الاسلوبية ما في النقد

إلا بعضه مما يجعل العلاقة بين الأسلوبية و النقد علاقة سطحية و هذا الرأي يشير إلى :" أن الأسلوبية أضحت مغايرة النقد الأدبي و لكنها ليست هادمة له أو وريثة .

و علة ذلك أن اهتمامها لا يتجاوز لغة النص فوجهتها – في المقام الاول – وجهة لغوية أما النقد فاللغة عنده هي أحد العناصر المكونة للأثر الادبي " [17]

فالأسلوبية استقرت كنظرية أساسية ضمن نظريات أخرى في دراسة النص عامة و أسلوبه على وجه أخص و ليس همها أ تتعرض لرسالة الأدب و أهدافه المختلفة [18] فالنقد حسب هذا الاتجاه هو أوسع نطاقا من الأسلوبية و لولاه ما قامت و بسببه تفرعت كمنهج نقدي .

الاتجاه الثاني :

هو اتجاه يؤكد ان النقد الحديث استحال الى علم الأسلوب و صار فرعا من فروعه و مهمته أن يمد هذا العلم بتعريفات و معايير جديدة لأن الاسلوبية هي التي تمنع العمل الأدبي تفرده و تميزه بطرائفها الحديثة في استخراج خبايا للآثار الادبية باعتماد الدقة و الموضوعية .[19]

- و ان كان النقد يعد أحد الفروع الأساسية لعلم الأسلوب " يعني هذا الرأي أن النقد سينتصر على الجانب اللغوي الأدبي و سينصرف كما عداه من عوامل و ظروف مختلفة تشكل جانبا مهما في العملية النقدية مما يؤدي إلى محو النقد الأدبي و قيام الاسلوبية وحدها التي لا تستطيع أن

17: الأسلوبية : مدخل نظري دراسة تطبيقية فتح الله أحمد سليمان دار الآفاق الغربية ، القاهرة ط1،2008،ص38

18: البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد لمطلب ،ص 378

19: البلاغة و الأسلوبية ، يوسف أبو العدوس ،ص 161

تكون عوضا عن النقد الأدبي ، فالأسلوبية و النقد موجودان في خطين متوازيين لا يندمجان ، و إن كانا يتقاطعان في بعض النقاط ، ووجود عناصر مشتركة بينها و اتفاقهما في سمات بعينها لا يعنيان نشوء التمازج الكامل ، كما انه ليس حتميا ان يكون بقاء أحدهما مرتبطا بزوال الآخر"[20]

- و بالتالي فالنقد استحال إلى نقد الأسلوب لأنه استمد مقوماته من مجالات اخرى ، في علم النفس و الاجتماع و تراجم للأعلام و مواليدهم و فقد بذلك سلطانه على اللغة ، و غرق في الذاتية لانه ركز على القضايا و الموضوعات و الاغراض و العواطف و الخيال ، و ابتعد عن مجاله الطبيعي المتمركز حول اللغة و ما يتصل بها مما أدى إلى فصل اللغويات عن الأدب .(21) فأدى ذلك في الأخير لتأسيس الأسلوبية كمنهج علمي في دراسة الأسلوب الأدبي.

الاتجاه الثالث :

و هو اتجاه يرتكز في فلسفته و نظرته على علاقة الاسلوبية بالنقد على مبدأ التكامل و التعاون بينهما و تحدد على ما يمكن أن يقدمه كل طرف للآخر فكلاهما يستطيع أن يمد الآخر بخبرات متعددة استاقاها من مجال دراسته.(22)

فمن المؤكد انه حدث تداخل بين اختصاصات البلاغة القديمة و الأسلوبية الحديثة غير أن البلاغة لم تعد قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا و التي يجب

20: الأسلوبية : مدخل نظري و دراسة تطبيقية ، فتح الله أحمد سليمان ، ص 28

21: ينظر التركيب اللغوي للأدب ، لطفي عبد البديع ، مكتبة النهظة المصرية ،ط1970،1 ، ص : 93-94

22: ينظر : الاسلوبية – الرؤية و التطبيق ، يوسف أبو العدوس ، ص 53-54

على الباحث في الأسلوبية أن يضعها في اعتباره و أن يحاول تعميقها على ضوء المناهج الحديدة .و بهذا يمكن للنقد ان يتصل بالأسلوبية في محاولة الكشف عن المظاهر المتعددة للنص الأدبي"[23]

فالصلة بين الأسلوبية و النقد الأدبي صلة وثيقة ، فكل منهما يصف و يحلل و يركب و يفسر فإذا كانت الأسلوبية تكشف و تقرر فإن النقد الأدبي يقيم و يصدر للأحكام ، فالتقارب بينهما يبرز

من خلال التعاون على محاول الكشف عن المظاهر المتعددة للنص الأدبي من حيث التركيب و الغة و الموسيقى [24] .

- و بذلك يمكن القول ان الأسلوبية من خلال جهدها في مجال التوصيف اللغوي للنص أنها حاولت بذلك " ترشيد النقد الأدبي و تثبيت أحكامه من خلال الأسس العلمية الموضوعية التي تتيح تبيين القيم الجمالية تبينا واعيا مستعينة بجانب التنظير بنماذج تطبيقية متعددة كمّا و كيفا"[25]
- و بذلك يمكن القول أن الأسلوبية تشكل رافدا نقديا يمكن أن تقيّد منه الاتجاهات الأخرى حتى تلك لتي عارضتها و لم تؤمن بشرعيتها .[26]

23: البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد لمطلب ، ص :354

24: ينظر : المرجع نفسه ص :184

25: ينظر : البلاغة و الأسلوبية ، محمد عبد المطلب ، ص 377-378

26: ينظر : المرجع نفسه ص :379

الفصـل الثالث

بين الأسلوبية و نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني

المبحث الأول : الأبعاد التداولية من خلال تنظير عبد القاهر الجرجاني

المبحث الثاني : التركيب الأسلوبي للنظم

المبحث الثالث : أثر النظم في الأسلوبية

الأبعاد التداولية من خلال تنظير عبد القاهر الجرجاني :

لقد أظهر عبد القاهر الجرجاني في مجمل أجوبته المتعلقة بقضية اللفظ و المعنى في كتابيه " دلائل الإعجاز " و " أسرار البلاغة" حيث احتوت هذه الكتب .....معرفية و إثراء منهجي دفع بعجلة لتطوير الأبحاث البلاغية نحو التطور و الازدهار ، و لعل السر في هذا الدفع الهائل الذي اتسمت به إسهامات عبد القاهر الجرجاني يعز إلى ترك القطيعة المعرفية مع ما سبق من أبحاث على أساس أن رؤيته و معالجته للقضايا و المباحث البلاغية كانت بمثابة محاولة ذات بعد تجديدي في عملية التأصيل البلاغي و النقدي .[01].

بغض النظر عن مفاضلته للفظ على حساب المعنى أو العكس أثبتت هذا الرجل أن مراعاة النحوية و استعمالها الدقيق و الأنسب ، شرط جوهري لامناص من اعتباره في العمليات المنتجة للكلام و هو ما عرف عنده تحت مصطلح " النظم" حيث يقول " أعلم أن ليس النظم إلا أن تصنع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو و تكمل على قوانينه وأصوله ...."[02]

و بهذا فإن تفعيل العملية التواصلية مرتكز على أسس نحوية صريحة لابد من التقيد بها و الانصياع لها و تحصل هذه المراعاة انطلاقا من " علاقة تربط اللغة من جهة و مستعمل اللغة من جهة أخرى " و فضلا عن هذا التخريج البياني الذي يربط بين اللغة في المستوى الشكلي و المستعمل لها نجد الجرجاني يلقي بعين الآراء الأخرى التي من شانها أن ترفع من نسبة التطابق و التلاؤم بين الكلام و المقصد الذي يسعى إليه المتكلم حيث يقول :" ثم اعلم أن ليس المزية واجبة لما أنفسها و من حيث هي على الإطلاق و لكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم يحسب موقع بعضها مع البعض و استعمال بعضها مع البعض "[04]

01:ينظر ، إبراهيم خليل ، الأسلوبية و نظرية النص ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1997 1 ، ص 33

02: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، شرح و تعليق ، محمد التنجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ص **70/69**

03: محمد عبد الرزاق عبد الغفار ، عبد القادر الجرجاني في النقد العربي الحديث ، دراسة في إشكالية التأويل ، ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، ط 1 ،2002 ، ص 23

04: عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ، ص 74.

الجرجاني :" وأن الذي قاله العلماء و البلغاء في ضفّتها (اللغة) و الإخبار عنها رموز لا يفهمها إلا من هو في مثل حالهم من لطف الطبع و من هو مهيأ لفهم تلك الإشارات حتى كأن تلك الطباع اللطيفة وتلك القرائح و الأذهان قد تواضعت فيما بينها على من سبيل الترجمة يتواطأ عليها المرسل بالعادات و لا يعرفها من ليس هو منكم ."[05]

أي أن معرفة المتكلم للعادات الكلامية التي اختص بها المتلقي شرط من شروط التواصل الناجح فيما بينها فلا تكتمل العملية التواصلية إلا بحضور عناصرها :المتكلم ،المخاطب ،الخطاب (الكلام) و السياق الذي تنجز فيه ،فنجاح فعل التخاطب مرهون بالتفاعل الحاصل بين هذه الأطراف و ذلك بحسن الاستخدام في التواصل لتخرج اللغة من حيّزها النظامي اللغوي إلى التجلي وفق آليات يراعيها المتكلم في كلامه .

05: المصدر نفه ص 169

وبما أن الجرجاني يعتبر المتكلم * طرفا فاعلا و أساسيا في تحديد معنى الكلام فقد ربط قصدية الكلام بالمعاني النفسية التي تنطلق من داخل المتكلم لتظهر على هيئة خطابية يمكن اعتبارها بنية سطحية متولدة من بينة عميقة وهذا التصور الذي يلمح عند الجرجاني يؤدي بنا إلى ضرورة التمعن في الملمح التداولي الذي يقف وراء انجاز المعاني و ذلك بإعطاء أهمية للمتكلم الذي يظهر القول و يشحنه بدلالات ينفرد و يتميّز بانجازها ويتوفى تأويدها عند مخاطبه.

ومن المباحث التي شغلت حيّزا كبيرا و مجال واسعا من اهتمامات عبد القاهر الجرجاني هو مبحث التقديم و التأخير حيث يعتبره " باب كثير الفوائد جم المحامن ، واسع التصرّف بعيد الغاية لا يزال يعتز لك عن بديعة و يفضي بك إلى لطيفة و لا تزال ترى شعرا يروقك مسمعه و يلطف لديك

---

* : يرجع اهتمام عبد القاهر الجرجاني المتكلم إلى تأثره بالفكر الأشعري و هو المذهب الكلامي الذي ينتمي إليه الجرجاني فقد إمتدى إلى قيمة المعاني و أهميتها عند المتكلم و أن الألفاظ تابعة لها ، ردّا من على أنصار اللفظ الذين اقتصروا على رد الفصاحة و الجزلة و غيرها من الصفاة إلى اللفظ دون النظر في المعاني لهذا فقد رأى عبد القاهر الجرجاني أن المعاني تكون أولا بتوخيها في النفس وفق معاني النحو ثم تخرج في حلتها و نظمها لتكون بذلك المباني في المستوى الثاني أن هذه النظرة الجرجانية نابعة من الرؤية الأشعرية للمتكلم ، فحسبهم يظهر المتكلم الأول و هو الله سبحانه و تعالى نوعين من الكلام : نفسي أزلي و كلام مسموع حادث ، أما المتكلم الثاني فهو الإنسان الذي يحمل هو الآخر نوعين من الكلام : نفسي مسموع وهو مكلف بتبليغ الرسالة الأهلية – مع وجود الفارق بين المتكلم الأوّل و المتكلم الثاني .(ينظر آليات التواصل في الخطاب القرآني ، بلقاسم حمام ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية قسم اللغة العربية وآدابها جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، أشرف محمد خان نوقشت سنة 2005، ص 134 ، 135

موقعه ثم ينظر فتجد سبب أن أراقك و لطف مكان إلى مكان "[06] ليكون آلية في القول يتم فيها تقديم ما تريد التنبيه عليه و الالتفات إليه و يتأخر ما يبدو أقل شأنا من الموضوع المقدم .

– أما بالنسبة للطريقة و الكيفية التي تحدث فيها ظاهرة التقديم و التأخير فهي مرتبطة بحصول طرق (انتهاكات لقواعد النظام التركيبي الذي يكون مقننا من الدرس النحوي و تكون من بين النتائج المتوخاة و المترتبة عن هذا الانتهاك الصريح وورود إفرازات دلالية أخرى تنقل المعنى (المقصد) من مستوى آخر).[07]

و بهذا نقول أن هذا المبحث لا ينفك عن الأغراض الأسلوبية الفنية التي تكتنف الكلام الجميل المؤثر ذو الحسن والقبول.

فيما يستدعي الانتباه في هذا الصدر أن الجرجاني و هو يحاول التنظير في هذا المبحث بنى تصوره وفق دعائم خالف فيه علماء النحو الذين كانوا يعتقدون أن حصول التقديم مقصور على الغاية و الاهتمام إذ كان يكفي في فلنونهم أن يقال :" إنه قدّم للعناية لأن ذكره أهم" [08] وتفادوا عن ذكر " منأين كانت تلك العناية ؟ وبما كان أهم " [09]

فقد ركز الجرجاني في تحليل القول الذي يحتوي على الخبر المثبت على النظر إلى العملية التخاطبية والتي يكون فيها متكلم يتلفظ قول يحمل خبرا مثبتا و مخاطب فيها يوجه غليه القول بحسب طبيعة السياق الذي يتواجدان فيه فيه فيقول " : فإذا عمدت إلى الذي أردت ان تحدث عنه بفعل فقدمت ذكره ثم بنيت الفعل عليه فقلت :" (زيد قد فعل)و (أنا فعلت) ، و(أنت فعلت) ، اقتضى ذلك أن يكون القصد إلى الفاعل إلاّ ان المعنى في هذا القصد ينقسم إلى قسمين " [10].

06: المصدر نفسه ص 85.

07: ينظر ، محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ،لنجمان ط1994 1 ص 331

08: سيبويه : عمرو بن عثمان بن قنير ،الكتاب ، تحقيق و شرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب بيروت ط 3، 1983 ، ص 34

09: عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز ،ص 87

10: المصدر نفسه ص128

و يتعلق القسمان بحسب الغرض الذي يريد حصوله لدى المخاطب (السامع) و بذلك فإن إنجاز القول يكون بمراعاة المخاطب و نوعي الخبر الذي يوجهه له المتكلم و هنا يخرج القول إلى أعراض متضمنة فيه بحسب حالة المخاطب و هو ما يظهر انطلاقا من نظم القول و هيئة وروده من المتكلم بقصد التواصل مع المخاطب و تحقيق الفهم و الإفهام.

– المتأمل منا في هذا المبحث يخفي إلى أن إدراج هذا التلاعب المتعلق بتقديم الكلمات و تأخيرها ضمن بوثقة التأثير ألموقعي و يندرج هذا الأخير ضمن مجا آخر أوسع و هو " مظاهر تأثير المقام في صناعة الكلام" [11] و يندرج هذا الكلام المتشكل بدوره في عنوان عام مثل هاجسا ممثلا للكلام البليغ و شروطه في البلاغة العربية (و هو مراعاة مقتضى الحال " و الذي يتماثل إلى حدّ بعيد مع ما أقرته الأطروحات التداولية .

11: ينظر، محمد محمد يونس علي ، وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية ، دراسة – حول المعنى و ظلال المعنى –منشورات جامعة الفاتح ليبيا ، 1993 ، ص : 142

التركيب الأسلوبي للنظم :

حظي الدرس البلاغي عند العرب بكثير من الاهتمام و ذلك أن البلاغة كانت تحمل منذ نشأتها بدور العبقرية العربية في جلالها و قدرتها على أدرك استكشاف مواطن النفس الإنسانية و قد كشف العرب قيمة الدرس البلاغي من حيث كشفه عن أسرار بنية الخطاب و أثره في المتلقي ، و قدرة الكلمة على التأثير و التعبير باعتباره أن البلاغة هي إيصال المعنى من القلب إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ.

والأسلوب في النص هو الأساس في نسج بنية عبر جميع مستوياتها ، و تتعمق النظرة إلى الأسلوب الثّرات البلاغي مع أطروحات عبد القاهر الجرجاني ، غذ نجده يساوي بين الأسلوب و النظم لأن الأسلوب عنده لا يفصل عن رؤيته للنظم بل نجده يماثل بينها من حيث أنهما يشكلان تنوعا لغويا خاصا بكل مبدع يسر عن وعي و اختيار و من ثم يذهب عبد القاهر إلى الأسلوب ضرب من النظم و طريقة فيه .[1]

وإذا كان الأسلوب كذلك يجب أن يتوفي فيه المبدع اللفظ المقتضي التفرد الذاتي في انتقاء اللغة عن وعي و ذلك بمراعاة حال المخاطب .

– و الجرجاني نجده قد أضاف أصلا أصيلا إلى نظرية الأسلوب في البلاغة العربية القديمة إذ جعل الأسلوب على الأصول العربية وقواعدها فالنظم يمتنع إذا لم ينضبط النحو و ذلك ما أسس له الجرجاني في دلائل الإعجاز بقوله " : وأعلم أن ليس النظم غلا أن تصنع علامك الذي يقتضيه علم النحو و تعمل على قوانينه و أصوله و تعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ منها و تحفظ الرسوم التي رسمت لكمنها و تفظ الرسم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها "[02]

1:أنظر ، محمد عبد العزيز الوافي ، حول الأسلوبية الإحصائية، مجلة علامات . مج 11.ج 42.ديسمبر 2001. ص 08.

02: الزبيدي ، تابع العروس ، بنغازي، دار ليبايا ، للنشر و التوزيع ، ص 40

و بذلك جعل عبد القاهر الجرجاني من النحو قاعدة لكل نظم ، لا باعتباره أداة أسلوب ينتظم بها التركيب في نسقه الإعرابي العام و إنما جعل منه ذلك – مستفتيا ما استغلق من المعنى في الأسلوب إذ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب مفتاحا لها و "الأعراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها و أنه المعيار الذي لا بتين نقصان كلام و رجحانه حتى يعرض عليه و المقياس الذي لا يعرفه صحيحا من سقيم حتى يرجع إليه و لا ينكر ذلك إلا من ينكر حسه .."[03]

فإذا أدرك المبدع ذلك استقام له الأسلوب و أتاه إن شاء ." و المتتبع منهج عبد القاهر يجده يميز بين النظم والأسلوب فالنظم في نظره مفهوم أعمق من الأسلوب فقد اكتفى به عناية خاصة و بالغ في تكراره و التركيز عله في مؤلفاته لتي خصصها للبحث فيه لارتباطه بالبنية اللغوية و تراكيبها الخاصة لتوفي معاني النحو و هو محور الدراسة في نظريته في كل جهوده كما مر الحديث من قبل بينهما يعرف الأسلوب بأنه وسيلة في الاقتضاء و طريقة في الكتاب تختلف من كاتب إلى كاتب ومن شاعر إلى آخر فقد حدد عبد القاهر الأسلوب في النمط الشكلي من التعبير حيث وضح السمات العامة في أشكال القول و طرق التعبير كالتي يتقنها الشعراء...."[04] .

يرى الأستاذ الدكتور محمد عباس أن عبد القاهر الجرجاني قد أكد ضرورة التزام النحو في مفهوم النظم ، و قد تشدد هذا الأخير في ضرورة النسج على طريقة مخصوصة تميز شاعر عن شاعر آخر و بذلك نجد أن عبد القاهر الجرجاني يميز الأسلوب بتميز صاحبه في نظمه عن غيره من أهل النظم و الأدب ،و من ثم نلاحظ أن هذه النظرة لا تخرج عن نظريته في النظم التي يؤكد فيها التزام معاني النحو في التأليف و ذلك من خلال تأكيد توفر محاسن الكلام في ترتيب المعاني في النفس بطريقة خاصة . تحدد النمط الشكلي من التعبير.

و مفهوم الإعراب عند الجرجاني لا ينتهي فيه الكلام إلا مفهوم الموقع من الجملة أو نسبته من الجملة من سابقه أو لاحقه رفعا أو نصبا أو جرا فقط ، و إنما يتعداه إلى المفهوم الدلالي الذي تقتضيه فصاحة المخاطب و نباهته في الكلام أو الخطاب : حيث :" اتضح أن عبد القاهر لم يعتن في نظريته بالجملة العربية المفيدة المجرّدة و لم يذكر الألفاظ منفردة سواء في التزام في الشعر و عبّر عن عمله

03: محمد عبد العزيز الوافي ،حول الأسلوبية الإحصائية ص 18

04: د. محمد عباس ، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، دمشق ، سورية ، ط1 1999 ص 38

هذا بالنظم و أحيانا بالصياغة و هذا أقرب دليل إلى معرفة السياق أو ما يعبر عنه بالأسلوب غير أن الأسلوب وحده يبقى غير كاف على تأدية مذهب عبد القاهر في مقصده العميق الدلالة فمن التجويز العلمي أن يستبدل بمصطلح الأسلوبية ليكون واسع الحدود و شمولي الدلالة "[05] حيث نجده لا يقف في نظرته إلى الإعراب عند المظاهر الشكلية التي أسس (القواعد الإعرابية ، الحركات ...) بل ينظر له على أنه علم يقصد التأسيس لفهم يساعد على إدراك معنى المعنى.

و ممّا لا شك فيه أن قيام النظم عند هذا الشيخ بتوفي معاني النحو يوجب حضورا عقليا و استعمالا منطقيا للغة لهذا يقوم الإبداع عنده على جملة من المراحل الواعية متجنبا بذلك تفرّد الألفاظ أو المعاني و اعتناء بذكر المقطع ككل لتسهيل استحضار الفكر .

لمتوصل الأسلوبية على معاني النحو فقط بل جعلت النحو و البلاغة و العروض علوم تغذي سلوك الأسلوب .

و هو طرح لا يجانب كثيرا طرح الجرجاني في تحديد ماهية الأسلوب في قوله :"وأعلم أنها عبرة عندهم من المنوال الذي ينسج فيه التركيب أو القالب الذي يفرغ به ، و لا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب لا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة و البيان و لا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه ، الذي هو وظيفة العروض فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية .[06]

لقد تبين لابن خلدون أن الأسلوب يتعدى معرفة العلوم المذكورة (النحو و البلاغة و العروض) و لا تقوم الشاعرية عند الشاعر بادراك هذه العلوم ، فكم من شاعر لا يحيط بها إحاطة كاملة و كم من محيط بهذه الأدوات و ليس بشاعر ، فالشاعر هو من امتلك الملكة التي تطبع ذوقه من خلال التعمق في معارفها و التمرن على أساليب هذه العلوم قراءة و حفظا .

05: المرجع نفسه ص 40.

06: عبد الرحمن بن خلدون ،المقدمة ، بيروت ، دار الكتب العلمية –ط 1، 1978 ،ص 570، 571

و من هنا تحصل المقاربة بين عبد القاهر و ابن خلدون حول القاعدة الأساسية في تصور معاني النظم أو الصناعة الشعرية و تتجلى في قوله :" وإنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلّية باعتبار انطباقها على تركيب خاص و تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب و أشخاصها باعتبار الإعراب و البيان فيرصّها فيه رصّا كما يفعله البناء في القالب والنسّاخ في المنوال ، حتى يتّسع القالب يحصل التراكيب الوافية بمقصود الكلام ".

و من خلال هذا القول ندرك أن وظيفة الأساليب الشعرية هي استيعاب العلوم إدراكا ثم انتقاء منها ما يناسب التركيب الخاص فالأسلوب حسب رأي ابن خلدون هو صورة ذهنية تعمر النفس و تطبع الذوق و الأساس منها هو تدريب النفس و ترويضها و ذلك بقراءة النصوص الإبداعية ذات البعد الجمالي و بمثل ذلك تتكون و تتألف التراكيب التي تعوّدنا على نعتها بالأسلوب .

و هذا الرأي كان مقاربا لرأي الشيخ الجرجاني في رؤيته للأسلوبية .

ومن هنا تحصل المقاربة بين عبد القاهر الجرجاني و ابن خلدون حول القاعدة الأساسية في تصور معاني النظم أو الصناعة الشعرية و تتجلى في قوله " و إنما يرجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص و تلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب و أشخاصها باعتبار الإعراب و البيان فيرصّها في المنوال حتى يتّسع القالب بحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام "

ومن خلال هذا القول ندرك أن وظيفة الأساليب الشعرية هي استيعاب العلوم إدراكا ثم انتقاء منها ما يناسب التركيب الخاص فالأسلوب حسب رأي ابن خلدون هو صورة ذهنية تعمر النفس و تطبع الذوق و الأساس منها هو تدريب النفس و ترويضها و ذلك بقراءة النصوص الإبداعية ذات البعد الجمالي و بمثل ذلك تتكون و تتألف التراكيب التي تعوّدنا على نعتها بالأسلوب .

و هذا الرأي كان مقاربا لرأي الشيخ الجرجاني في رؤيته للأسلوبية .

07: المصدر نفسه : ص 571

أثر النظم في الأسلوبية

يرى الجرجاني أن البلاغة لا تنبني على الألفاظ كقوالب إلاّ إذا كان وراءها تيار من المعنى يحركها فيقول : " إن الخبر و جميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه و يصرفها في ذكره و يناجي بها قلبه و يراجع فيها عقله و توصف بأنها مقاصد و أغراض و أعظمها شأنا الخبر الذي يتصور بالصورة الكبيرة " [01] و قد جاء في كتبه بنظرة مهمة خلاصتها وجود تأليفين أحدهما معنوي سابق و ثانيهما لفظي لاحق و تفاعلهما مع بعضهما البعض نظما يحقق المعاني النحوية الموصولة إلى مقصد ما .

و ذلك ما ذهب إليه بعض المحدثون أمثال أحمد الشايب حينما جعل النظام اللفظي مسبوقا بالنظام المعنوي المرتب في نفس الكاتب ، فهذه الصورة اللفظية التي هي أول تلقي من الكلام لا يمكن أن تحيا مستقلة ، إنما يرجع الفضل في نظامها اللغوي الظاهر إلى نظام آخر معنوي أنتظم و تالف في نفس الكاتب أو المتكلم فكان بذلك أسلوبا معنويا ثم تكون التأليف اللفظي على أثره الذي لبسه أو جسمه إذا كان المعنى هو الروح و معنى هذا الأسلوب معان مرتبة قبل أن يكون ألفاظا منسقة و هو يتكون في العقل قبل أن ينطلق به اللسان أو يجري به القلم.[02]

و خلال مباحثه في مسألة النظم أكد مرارا أن خلف كل نظم قصدا ما عند قائله و ما على المتلقي إلا البحث و الكشف عنه فيقول :" و جملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصد للصورة و صفة ، إن لم يقدم فيه ما قدم ثلث به لم تحصل لكتلك الصورة وتلك الصفة .

إذا كان كذلك فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضح الكلام ان يحصل له من الصورة و الصفة : في الألفاظ يحصل ذلك ام في معاني الألفاظ ؟ و ليس في الإمكان أن يشك عاقل إذ انظر أن ليس ذلك في الألفاظ ، و إنما الذي يتصوّر أن يكون مقصودا في الألفاظ هو(الوزن)...[03]

و كذلك يتبين أن الجرجاني يعطي للمتكلم سلطة أكثر من القارئ لانه مصدر الحقيقة و هو الذي

01: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ،2001 ص، 46

02: أحمد الشايب ،الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، مكتبة النهضة المصرية ، 1991 ،ص 40

03: دلائل الإعجاز ، الجرجاني ص 364

يحدد معاني كلامه و يترتب عن ذلك أن المتلقي ليس له دور في إضفاء المعنى و يبقى عليه أن يبحث عنها من خلال اللفظ ذاته ، و الألفاظ عنده ليست إلا رموزا للمعاني المفردة التي ندل عليها أي مجرد علامات لإشارة إلى شيء ما و ليست للدلالة على حقيقة والإنسان يعرف مدلول اللفظ المفرد أول ثم يعرف هذا اللفظ الذي يدل عليه ثانيا و العبرة عنده في هذا الكلام هو بالمتكلم وليس السامع (المتلقي) فالكلام المصاغ المصوّر في ذهنه كالفضة و الذهب يصوغ منها المفكّر المبدع ما يشاء و بذلك يعبر مع أحاسيسه وانفعاله يقو: " و معلوم أن سبيل الكلام سبيل التصوير و الصياغة و أن سبيل المعنى الذي يعبر عنه سبيل الشيء الذي يقع التصوير و الصوغ فيه ، الفضة و الذهب يصاغ منها خاتم أو سوار فكما أن محالا إذا أنت أردت النظر في صوغ الخاتم و في جودة العمل و رداءته ، أن تنظر إلى الفضة الحاملة لتلك الصورة أو الذهب الذي وقع فيه العمل و تلك الصفة كذلك محال أن تعرف مكان الفضل و المزية في فصلنا خاتم على خاتم بأن تكون فضة هذا أجود أفضة أنفس ، لم يكن ذلك تفضيلا له من حيث هو شعر و كلام و هذا قاطع فاعرفه "

و المتأمل في هذا النص يدرك أن عبد القاهر الجرجاني لا يقصد الجانب المعنوي الذي يقصد به المعنى أو المضمون و لا يقصد الجانب الشكلي (اللفظ) ، إنما جمع بينهما ووضعهما في مرتبة واحدة فلا يمكن تفصيل احدهما على تلك .

– و لم تنحصر دراسة الجرجاني في نظم الكلام فقط بل شملت دراسته المجال اللغوي الواسع حتى مسّت في مهمته التعبيرية التواصلية لتسموا دراسته في الجانب النحوي و البلاغي و الادبي ليوفق بين اللفظة و المعنى و عدّه ضربا من الأسلوب .

و يقرر عبد القاهر توسيع معنى الأدبية ليدل على جودة السبك بتلاحم الأجزاء و تناسق دلالات الألفاظ و انسجامها مع المعنى على الوجه الذي يتقبله العقل و توخاه علم النحو في استساغة القريحة دون تكلف أو تصنع من المبدع "

04:المصدر نفسه ، ص : 156

ففكرة الصياغة في النظم هي أساس الأسلوبية في نظر عبد القاهر " [05] و هي مستمرة بطبيعتها في النقد العربي في كل زمان بمقتضى أن عبد القاهر الجرجاني قد اهتم بالنظم كمبدأ أساس جوهري وبالضنحة اللفظية كمبحث متفرع من مجال الأسلوبية فهو يرى ان الكلمة المفردة لا قيمة لها قبل دخولها إلى التأليف حتى تصير إلى الصورة التي يفيد بها الكلام و لم يرض عن رأي أنصار المعنى في عمومه ليحكم على الجودة و الرداءة في العمل الأدبي فهم حسب رأي مغفلين عن أمر الصياغة ، فهو لم يقف عند الألفاظ وحدها أو المعاني وحدها ، و بل ربط بينهما ربطا وثيقا و بذلك أدخل عنصرا ثالثا و هو مراعاة الصورة الأدبية التي تحدث من اجتماع اللفظ و المعنى .

وهناك موافقة بين تفكير الجرجاني و تفكير ريفاتير Rifatir حول تركيزهما معا على المتلقي و تحويله فطنة الاستقراء الإبداعي و ذلك باستظهار خفايا الإبداع في النص بحيث تتجلى بعد ذلك الظواهر الأسلوبية الكامنة في ذلك الخطاب .

" و المتلقي المبدع هو من يقوم باستقراء مكونات الخطاب اللغوي و اكتشاف خفاياه لأنه في نظر عبد القاهر الجرجاني موكول به التنبه إلى مكان الخبء ليطبه و موضع الدفين ليبحث عنه [06] لان اللغة في النظرة البلاغية هي ملك السامع و ركيزة التواصل فالفطنة البلاغية و المهارات الفنية التي يمتلكها القارئ مدخل يكشف أسرار النص الداخلية و بنيته (سلان حدق الشاعر أن يوقع المعنى في نفس السامع إيقاعا يمنعه به من أن يتوهم في بدء الأمر شيء غير المراد ثم ينصرف إلى المراد.....)[07]

فالعناصر البنائية المرافقة لحسن الإنشاء الأسلوبي من طبيعتها التشخيص و الظهور من أجل التذوّق السليم .

– ومن جهة أخرى نجد ميكائيل ريفاتير يشيد بدور القارئ الذي يسهم من جهة نظره في كشف و تحديد الوقائع الأسلوبية المرتبطة بعملية التلقي انطلاقا من قوله :" لا دخان بدون نار حيث يتداول

05: د محمد عباس ، الأبعاد الإبداعية في منهج عبد القاهر الجرجاني ، دمشق ، دار الفكر ، 1999، ص 46

06: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 29.

07:المصدر نفسه ص 271

الضمني بالمعلن أي جهات الكلام نتيجة لمثير في النص ففي كلامه على موضوع إجراءات التحليل ذهب ريفاتير إلى أن دارس الأسلوب يسجل ملاحظات عن ردود فعل القارئ مستخدما إياها على أنها مجرّد مؤشرات لعناصر لها أثرها في البنية .[08]

نلاحظ أن الجرجاني يستوي مع ريفاتير في طلبهما في الاجتهاد للمتلقي بغية التواصل إلى تحديد العلامات المشفرة في النص و ذلك للوصول إلى المقصدية التي يسموا إليها المبدع من خلال خطاب (علامه).

– و لم تتوقف علاقة عبد القاهر بالدراسات إلى هذا الحد بل سمت إلى أوثق الدرجات واجلّها في العديد من النصوص التي ترتئي في التنظير للأسلوبية حيث نجد عبد القاهر يقول : " أنك ترى الكلمة تروقك و تؤنسك في موضع ثم تراه بعينها تثقل عليك و توحشك في موضع آخر ....."[09]

– يرى الجرجاني ان الكلمة تتموقع فمن سياقها التركيبي فتمنح جملة من الدلالات المتناسبة إيقاعيا مع نسقها القرائي المناسب لمحلها من الكلام ، فإذا ما أحسنت إنزالها استوفت المنزلة البلاغية التي تستحق لتمثل المعاني نشاطها تخيليا يبرع كل قارئ .

ويقول أيضا " و أعلم أن مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيه الأحكام فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك أن أنك إذا قلت :" ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له فإنك تحصل من مجموعة هذا الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معان ، كما بتوهمه الناس و ذلك لأنك لم تأت بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيه و إنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل الذي هو ضرب و بين ما عمل التي هي محصول التعلق .....[10]

و يرى الجرجاني في أن السيادة يعمل على تشخيص الهوية الأسلوبية حيث تكون مستوحاة من الحس البلاغي المكون به الخطاب فالمزية الفنية للوحدات اللغوية حسب رأيه لا تظهر إلا فمن ملفوظ الخطاب هذا الملفوظ يكون قابل لتوظيف التناقضات حسب النسق الأسلوبي .

08: Essais de stylistique structurale presentation et traduction de daniel de las flammarion paris 1997. P 42

09: عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، ص 38

10: المصدر نفسه ص 316

يتناغم تفكير الجرجاني مع ريفاتير الذي ينظر إلى السياق الأسلوبي " على انه نموذج مهدّم أو مكسّر عن طريق عنصر غير متوقع مولد لإيقاع المفاجأة التي تعتبر غير منتهية التوجه حسب رأيه فالأسلوب في نظره لا يحدد في توالي أوجه الصورة البلاغية و لا الإجراءات و لم يحدد باعتباره تضاريس مستمرة بما يعني أن البنية الأسلوبية للنص هي توالي العناصر المعلمة نظير العناصر غير المعلمة بالقياس إلى سياق مضاد له .[11]

فكل إجراء أسلوبي يفهم من وجهة نظر ريفاتير من خلال و يمكن للمتأمل في هذين الرأيين أن يقارب بينهما ليحاول الوصول إلى النتائج التالية :

أولا : إن السياق عند ريفاتير يقوم بدور مهم في تبيين المعنى فهو يضطلع بمعرفة الملابسات الفنية التي تحيط بالنص بدءا بمكونات النص المتمثلة في الكلمة التي تحيط بها من علاقات تربطها بالكلمات المتجاورة لها وفق قرائن دلالية .

ثانيا : يعد الجرجاني أن التحليل الأسلوبي يعتمد على التقابل في دراسة ما هو في علاقة مع السياق .اي تقابل العناصر التي تنتج عنها الحدث الأسلوبي .

ويبدو واضحا من هذه الأمثلة السابقة أن عبد القاهر يعتمد على الدال للوصول إلى المدلول ، ليختمها بالتفسير الدلالي الذي يميز المعنى و لعل هذه الطريقة هي التي أطلق عليها ريفاتير " بالعنصر المولد المفاجأة" و الذي يعتمد عليه المتكلم في تراكيبه الأسلوبية فكل إجراء أسلوبي من وجهة نظر هذان الرجلان يفهم من خلال السياق و ضدّه .

– و حتى و لو كان فرق بين لفات العالم فهذا لا يمنع أن يكون لها أنظمة لغوية متقاربة فيما بنها خاصة في طريقة الصياغة للكلام . و إيصال الرسالة من طرف المبدع في مجاله الأدبي عامة .

– و نقول يبقى منهج عبد القاهر ساطعا في سماد العالم الإبداعي الأدبي الذي تميز به عن جلّ الدارسين الذين سبقوه في هذا المجال و لم يقف إلى هذا الحد بل كان مصدرا للباحثين الذين لحقوه في هذا المجال .

11: essais de stylistique structurale P 66 _

الخاتمة

الخـاتمـة

على الرغم من أن ذكر هذا العنوان يدل على إننا وصلنا إلى نهاية هذه الدراسة إلا أننا نعتبر هذا البحث بمثل البداية لدراسات أخرى نظرا لما يحتاجه الموضوع من تعميقات كثيرة في مجال النقد . و حسبنا في ذلك الوقوف عند هذه النتائج :

– إن الجرجاني استفاد ممن سبقوه في فكرة النظم و طور فيها و تميّز بها و نلخّصها فيما يلي :

أ– إن الألفاظ في النظم مرتبطة بالمعنى و لا يمكن فصلها عنه فعبد القاهر ينكر القسمة بين اللفظ و المعنى و يرد المزية في الكلام إلى السياق.

ب– النظم هو تناسق دلالة الألفاظ و تلاقي معانيه على الوجه الذي يقتضيه العقل.

ج: ترتيب الألفاظ في علم النحو يتوفى فيه معاني النحو و أحكامه .

د– الألفاظ لا تتفاضل في النظم من حيث هي ألفاظ مجرّدة و إنما تثبت لها الفضيلة في ملاءة معنى اللفظة التي تليها .

– جعل الجرجاني من السامع و المتكلم أهم الأطراف في العملية الكلامية فالكلام يعتمد على قصده الذي يراعي فيه حال سامعه و يبدو أنه اهتم بالمخاطب أكثر لأنه مهمة التفسير السليم و الدقيق لقصد المتكلم ويحدّ التفسير موضع التقاء بين كفاءة المتكلم و إنتاج أبنية لغوية مختلفة . كما رأى أن الألفاظ لا يقع فيها تزايد و إنما يقع التزايد في المعاني التي تدخل عليها .

ارتبط بالأسلوبية مصطلح الأسلوب ، فقد عرضت له الدراسات الغربية و العربية قديما ، لكن حديثا عرف اهتماما بالغا خصوصا من الدراسات الغربية ، لما عرف من تنوع و اغتناء و تعدد مدارسه ، فتشبعت تعاريفه إلى درجة يصعب الإلمام بها ممّا أدى بعض الدارسين أن يضعوا طرقا لتسهيل عملية الإلمام بهذه التعاريف .

و يمكن القول بأن الدرس الأسلوبي قد فرض حضوره على الساحة النقدية فأضحى من أهم المناهج النقدية التي تعتمد تحليل النصوص الأدبية بصورة متكاملة و ذلك بالاعتماد على اللغة فهي تبحث على دلالة اللفظة في نص المبدع لاستكشاف عناصر الجمال فيها.

– أما فيما يتعلق بعلاقة الأسلوبية بالدراسات النقدية فإن الأسلوبية تعبر عن القضايا الجمالية في النقد الأدبي فعند إقامة قراءة ما بين الأسلوبية و النقد ، فكلاهما يكمل للآخر و النقد جزء من الأسلوبية و الأسلوبية جزء من النقد .

و الأسلوبية تمثل اتجاهات النقد وتفرعاتها و هي تتعاون معه للوصول إلى قراءة متعمقة للنص .

– إن لأسلوبية هي علم وضحي ستقرئ الظاهرة الإبداعية فمن منهج يتبع الأحداث و الظواهر المشتتة لتنتهي إلى خصائص مشتركة فهي توحد بين الدال و المدلول في تأليفهما معا للدالة بين مستوى الصياغة و مستوى المفهوم بمعنى أنها لا تحدد للأشياء ماهيتها إلا من خلال وجودها فهي تدرك الشيء من خلال معاينة للخطاب الأدبي كل .

– و نجد مقابل ذلك منهج عبد القاهر الجرجاني الذي يتميز بالاتساع و الشمولية في احتوائه للدرس الأدبي و البلاغي و اللغوي معا ، فقد دعا هذا الشيخ إلى النظرة الشمولية التي تمكن القارئ من الوقوف على جمالية النص الأدبي و رأى استحالة للقارئ في الحكم على النص من خلال قراءته لبيت أمعدة أبيات للشعر مثلا – وإنما يقتضيه الأمر إلى النظر و التأمل في القطعة الأدبية بكاملها .

– فاللفظة في رأي الجرجاني لا يمكن توصى إلا باعتبار مكانها في النظم و هذه من الأدلة التي يستند عليها الأسلوبين في منهجهم النقدي .

قائمة المصادر و

المراجع

قائمة المصادر و المراجع :

1. إبراهيم خليل الأسلوبية و نظيرة النص ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر بيروت ط1 ،1997
2. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط6 ، 1997
3. أبو القاسم الزمخشري ، الكشاف عن قائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار الفكر للنشر و التوزيع بيروت ، لبنان .
4. أبو علي محمد بركات حمدي ، فصول في البلاغة ن دار الفكر للنشر التوزيع ، عمان ، ط1983،1.
5. أبو هلال العسكري ، السناعتين الكتابة و الشعر محمد البحاوي ، دار الفكر العربي 2 .
6. أحمد درويش دراسة السلوب ، ترجمة بين المعاصرة و التراث ،دار غريب ، القاهرة ، مصر 1998.
7. أحمد الشايب ، الأسلوب راسة تحليلية لأصول الاساليب الادبية ، مكتبة النهضة المصرية 1991.
8. بيرجيرو ، الأسلوبية ،ترجمة منذرعيشامركزالانماءالحضارينحلب،1994،2
9. جرج لايكوف ، الاستعارات التي نحا بها ترجمة عبد المجيد صحفة دار توبقال الدار البيضاء ط1994،1.
10. رابح بوحوش ،، اللسانيات و تحليل النصوص عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ،اربد ، الأردن ط2- 2009.
11. سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر ، الكتاب تحقيق و شرح عبد السلام هارون ، عالم الكتب بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983.
12. شكري محمد عياد – مدخل إلى علم الاسلوب – مطبعة أصدقاء الكتاب – القاهرة- ط3 -1996 .

13. صالح بلعيد – نظرية النظم- دار هومة للطباعة و النشر-الجزائر-2002.
14. صلاح الدين فضل – علم للأسلوب – مبادئه و اجراءاته – دار الشروق – القاهرة – مصر –ط1-1987
15. عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، دار العلم بيروت ، ط 1 -1978
16. عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الاسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط1 ،1977
17. عبد العزيز عبد المعطي ، قضية للإعجاز و أثرها في تدوين البلاغة العربية ن عالم الكتب للطباعة و النشر و التوزيع ، الاردن ، 1985 .
18. عبد الفتاح يوسف ، قراءة النص و سؤال الثقافة ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الاردن ط 1، 2009.
19. عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحثالبلاغي دار النهضة ، مصر النشر ، القاهرة ، 1995.
20. عدد القاهر الجرجاني ، دلائل الأعجاز ، دار المعرفة بيروت 1981.
21. عدنان علي الرضا النحوي ، الاسلوب و الاسلوبية بن العلمانية و الادب لملتزم بالاسلام ، دار النحو للنشر و التوزيع 1999.
22. عزت آغا مالك الاسلوبية من خلال اللسانية مركز الانماء القومي ، بيروت ، لبنان، 1986..
23. فتح الله احمد سليمان ، الاسلوبية ، مدخل فكري و دراسة تطبيقية ، مكتبة الآداب القاهرة ، 2004 .
24. فتحي احمد عامر ، فكر النظم بين جو الاعجاز ي القرآن الكريم المجلس العلمي للشؤون الاسلامية دار الكتب، القاهرة ط1-1980 .
25. فضل حسن عباس ، البلاغة فنونها و أفنانها علم البديع ، ار الفرقان للنشر و التوزيع ، عمان ، الاردن ، ط7 -2000.

26. لطفي عبد البديع ، التركيب اللغوي للأدب ، مكتبة النهضة المصرية ط 1، 1970.

27. محمد العمري ، البلاغة العربية و أصولها و امتداداتها دار الكتب افريقيا الشرق ، المغرب 1999.

28. محمد بن يحي محاضرات في الأسلوبية مطبعة مزوار ، واد سوف ، الجزائر ، ط1 ،2010.

29. محمد سالم الامين ، الحجاج في البلاغة ، المعاصرة دار الكتاب الجديد المتحدة ، لبنن ط 1، 2008 .

30. محمد عباس ، الابعاد الابداعية في نهج عبد القاهر الجرجاني ن دار الفكر ن دمشق ، سوريا ط 1، 1999.

31. محمد عبد الرزاق ، عبد القاهر الجرجاني في النقد العربي الحديث ، دراسة اشكالية التاويل ، المؤسسة العربية للراسات و النشر ، بيرت لبنان —ط1 ، 2002

32. محمد عبد الله دراز النبأ العظيم ، دار القلم للطباعة و النشر و التوزيع ، الكويت 1957.

33. محمد عبد المطلب ، البلاغة و الأسلوبية الشركة المصرية الالمية للنشر و التوزيع ن لوجمان ط1994،1.

34. محمد عبد الطلب ، قضايا الحداثة عن عبد القاهر الجرجاني ن الشركة المصرية العالمية للنشر و التوزيع ط1995،1.

35. محمد مرتفي الزبيدي ، تاج العروس ، دار ليبيا ، الشر و التوزيع ، بنغازي 1996.

36. محمد منور في المزان الجديد ، دار النهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة ،1977.

37. معمر حجيج ، استراتيجية الدرس الأسلوبي دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة الجزائر 2007.

38. منير سلطان ،اعجاز القرآن بين المعتزلة الأشاعرة منشأة المعارف دار الكتب العلمية ، الاسكندرية ،ط3 1980.

39. منذر عياش ،، الاسلوبية و تحليل الخطاب مركز الانماء الحضاري ، حلب ط1،2002.

40. نور لدين السد، الاسلوبية تليل الخطاب دار هومة للطباع الجزائر 1997.

41. يوسف ابو العدوس الأسلوبية ، الرؤية و التطبيق دار السيرة ،،عمان الأردن 2007.

المراجـع الأجنبية :

42. Essais de stylistiquestructurale presentation et traduction de daniel de lasflammarionparis 1997

- **المجلات**

43. سليمان العطار ، الاسلوبية و علم التاريخ ، مجلة فصول ، مج1، ع1981،2.

44. محمد حسين عبد اله المهداوي ن الأسلوبية الحديثة :محاولة تعريف ، مجلة فصول ، مج1 ، ع2ن1981.

45. محمد عبد العزيز الوافي حول الاسلوبية الاحصائية مجلة علامات ، مج11، ع42 ، ديسمبر 2001.

46. مصلوح سعد ، الاسلوبية ضمن مهرجان شوقي وحافظ الذي اقيم بالقاهرة سنة 1982 ، مجلة فصول مج 5 – ع1-اكتوبر 1984.

47. مصلوح سعد ، في لتشخيص الأسلوبي الاحصائي للاستعارة بتطبيق على أشعار البارودي و شوقي و الشابي – مجلة الفكر ع 30 ، نوفمبر1984.

منشورات جامعية

48. محمد محمد يونس علي – و اللغة العربية دلاليا ف ضوء مفهوم الدلالة ، دراسة حول المعنى و ظلال المعنى ، مشورات جامعة الفاتح ليبيا-1993.

49. محمد مفتاح – المقصد و الاستراتيجية– سلسلة بحوث ومناظرات ، كلية الآداب و العلوم الانسانية – الدار البيضاء –المغرب 1993.

50. بلقاسم حمام –آليات التواصل في الخطاب القرآني رسالة دكتوراه – جامعة العقيد الحاج لضر باتنة – الجزائر -2005-2006.

51. سامية راجح ، أسلوبية القصيدة الحداثية في شعر عبد الله حمادي – رسالة دكتوراه – جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة – الجزائر -2011-2012

52. كمال الدين عطاء الله – السمات الأسلوبية في شعر الامير عبد القادر الجزائري – جامعة حسيبة بن بوعلي ، الشلف – الجزائر -2014/2013

التلخيـص

إن هدف هذه الرسالة هو البحث عن تجليات الأسلوبية في فكر عبد القاهر الجرجاني و عن إضافاته في هذا الموضوع و ذلك بالتنقيب في منهجه وآلياته في معالجة الأساليب الكلامية ، بالتركيز على نظرية النظم ومحاولة مقاربتها بالدراسات الأسلوبية المعاصرة .

الكلمات المفتاحية

الأسلوب– الأسلوبية – نظرية النظم

Le but de cette etude est de rechercher des manifestations stylistiques dans la pensée d'Abdul kaher, et toutes les extensions, à ce sujet et que l'exploration dans son approche et ses mécanismes traitant des méthodes verbales, en mettant l'accent sur la théorie des systèmes et essayer d'aborder les études stylistiques contemporaines.

Mots-clés: Style, théorie stylistique, systèmes.

The aim of this thesis is to look for the manifestations of stylistic thought in Abdul Qaher Al-Jarjani and its additions in this subject by exploring in its method and mechanisms in the treatment of verbal methods, focusing on the theory of systems and trying to approach them in contemporary stylistic studies systems.

key words: Method, stylistic, systems theory.